

نحو فلسفة تربوية معاصرة لتعزيز ثقافة المقاومة -
دراسة تحليلية في بعض نماذج الأدب العالمي " خطاب ألبير كامو "
إعداد

د/ صفاء طلعت مذكور
مدرس أصول التربية
كلية التربية - جامعة طنطا

المستخلص

هدفت الدراسة إلى سبر أغوار قضية تربية ثقافة المقاومة وأهميتها في بناء الإنسان الحر المقاوم لشتى أشكال القهر والظلم والاستبداد والتبعية، والتي من شأنها أن تقتل في الإنسان الإبداع وتعطل من قدراته العقلية بتزييف وعيه وإدراكه وتجعله عاجزاً عن تحمل المسؤولية واتخاذ القرارات. وفي ضوء تلك الرؤية يتجه الهدف التربوي الى بلورة معالم لتربية ثقافة المقاومة كما طرحها الأديب والفيلسوف الفرنسي " ألبير كامو ". واستخدمت المنهج الوصفي التحليلي مُفعلاً بأسلوب تحليل المحتوى كيفياً. وتوصلت الدراسة الى عدة نتائج، أبرزها: أنه توجد علاقة متبادلة بين الأدب والتربية والمجتمع، يُعد الأدب رافداً تربوياً فاعلاً لا يمكن اغفال دوره في تشكيل شخصية الانسان الحر وتهذيب نفسه وتعديل سلوكه للأفضل. كما تبلورت عدة أبعاد لتربية ثقافة المقاومة عند " ألبير كامو " كما وردت في الإطار التحليلي للدراسة، أبرزها: التربية من أجل تنمية وعي الانسان وإدراكه بحدود حريته في إطار الوعي بالعالم وتحدياته، تربية الإرادة الإنسانية والصمود ومقاومة كل ما يُكرس لعبودية الانسان، تنمية وتعزيز القيم المرئية التي تمثل أخلاق للمقاومة عند " ألبير كامو "

الكلمات المفتاحية: المقاومة، ثقافة المقاومة، تربية ثقافة المقاومة، فلسفة تربية، ألبير كامو.

Towards a contemporary educational philosophy to promote a culture of resistance –Analytical study in some models of world literature "Albert Camus's speech"

Dr. Safaa Talaat Madkour

Abstract

The study aimed at exploring the depths of the issue of raising the culture of resistance and its importance in building a free human being who resists various forms of oppression, injustice, tyranny and dependence that will kill human creativity and disrupt his mental abilities by falsifying his awareness and awareness and making him unable to bear responsibility and take decisions. In the light of that vision, the educational goal is directed to crystallizing parameters for educating the culture of resistance, as presented by the French writer and philosopher Albert Camus. The study used the descriptive analytical method activated by the method of content analysis qualitatively. The study reached several results, most notably: that there is a reciprocal relationship between literature, education and society. Several dimensions were also crystallized to educate the culture of resistance according to "Albert Camus" as mentioned in the analytical framework of the study, most notably: education for the development of human awareness and awareness of the limits of his freedom within the framework of awareness of the world and its challenges, education of human will and steadfastness and resistance to everything devoted to human slavery, development and promotion of values The nanny who represents the morals of resistance according to "Albert Camus"

Key words: resistance, culture of resistance, education of resistance culture, educational philosophy, Albert Camus.

مقدمة

إن الإنسان بطبعه وتكوينه مفطور على الحرية، فهي ليست مجرد منحة يمنحها النظام الاجتماعي للإنسان أو يمنحها عنه، وإنما قيمة غريزية أوجدها الله في الذات الإنسانية، وهي تشكل حاجة دائمة ومتجددة للنفس الإنسانية لا بد من إشباعها، كما أنها حق طبيعي من حقوق الإنسان نصت عليه كافة القوانين والتشريعات السماوية والوضعية لا بد من ممارسته، فلا عجب أن يحمل سلوك الإنسان ردة فعل تتسم بالتمرد على الواقع، إذا ما منع من ممارسة حريته! ومنذ بدء الخليقة، والإنسان يقاوم ويناضل من أجل حريته كل عقبات حياته. فلقد قاوم الطبيعة ليسخرها بالطريقة التي تليق به كمستخلف في الأرض، وقاوم بعض المعتقدات والأفكار، كما حدث في بداية عصر النهضة الحديثة، كما قاوم الاستعمار عبر مراحل تاريخية مختلفة؛ لذا فإن جذور المقاومة تعود إلى وجود الإنسان ذاته، ولكنها تطورت من مجالاتها وآلياتها بفعل التطور الحضاري والمعرفي. ولقد كشف التاريخ الإنساني عن وجهين للعلاقات بين البشر أحدهما يعبر عن الحرية والأخرى تعبر عن القهر والتسلط، ومن أجل ذلك كان التاريخ الإنساني سلسلة متواصلة من النضال والمقاومة بين هذين الوجهين (الماض، ٢٠١٣، ٢)، ويعد الدمار الشامل الذي أصاب البشرية بعد الحربين العالميتين الأولى والثانية تعبيراً عما لحق بالإنسان الحديث، هذا الإنسان الذي قد تدمره صنائعه وأعماله الفكرية والعلمية والتكنولوجية خاصة بصنعه للسلح النووي والكيميائي، وتشهد الإنسانية بنفسها على نتائج أعمالها وأفكارها التي استخدمتها بطرق سلبية لتدمير ذاتها ووجودها، مما ولد شعوراً بالقلق والضياع والاعتراب، ولا يزال الإنسان المعاصر يُحاصر بتلك المشاعر خاصة في ظل تيارات الغزو الفكري والثقافي والتبعية بأشكالها المختلفة.

ولقد اتسم هذا الوجود الإنساني بالعبث واللامعقول واللامبالاة وانعدام الوضوح والمعنى، نتيجة تراجع القيم الأخلاقية وانحطاطها وانتشار الفوضى في المجتمع، حيث انحلت روابط التآزر والأخوة والتضامن والتعاون، وحلت محلها روابط العنف والاستغلال والحرمان والحقد والخوف والشعور بالقهر والاستبداد، حتى بدا للعالم كأنه أسلم نفسه للجنون، كل هذه التناقضات كادت أن تبلغ حد انقسام الإنسان مع نفسه وخضوعه إلى الانفعالات اللاشعورية التي ساهمت في خلق الشعور بالقلق والإحباط والاعتراب وفقدان الأمل والثقة في مستقبل أفضل، هذا الوضع جعل الإنسان يعيش حالة خوف وقلق وحيرة من مصيره ووجوده (كامو، د.ت، ١٤٠-١٤٣).

هذا الواقع دفع المفكرين والفلاسفة إلى البحث في وجود الإنسان وأسباب معاناته؛ وذلك بهدف التخفيف من الألم والتدبير بالعنف ومحاربة كل أشكال العبودية والاستغلال والقهر؛ فظهرت فلسفات ومذاهب حاولت دراسة الوضع من أجل إعطاء معنى للحياة. بعد ما سلب منها، ومن بين هذه الفلسفات - الفلسفة الوجودية - التي اهتمت بوجود الإنسان وحريته في اختيار أفعاله، وقد ظهرت بقوة على الساحة الفكرية بعد الحرب العالمية الثانية وكان هدفها النظر في سبب معاناة الإنسان بعد الحرب وعجزه عن التعايش مع الواقع. وفي هذا السياق قد ظهرت إشكالية العبث واللامعقول في الوجود الإنساني، هذه الإشكالية كانت محل دراسة وبحث من جانب

الفلاسفة والمفكرين عامة والفلاسفة الوجوديين خاصة على رأسهم - الفيلسوف والأديب الفرنسي الجزائري " ألبير كامو " الحائز على جائزة نوبل في الأدب عام ١٩٥٧م، والذي حاول تبرير العبث وسبيل الخروج منه بالتمرد والمقاومة. وانطلق " كامو " في معظم أعماله الفلسفية والأدبية في البحث عن معنى الحياة، وعن إمكانية العيش فيها بكل تناقضاتها. ويتساءل: لماذا يعيش الإنسان، وما الهدف من حياته؟ وكيف يجب أن يحياها؟ وفي الإجابة تبرز مشكلة الحرية (أرونسون، ٢٠٠٦، ٢٨٠).

ووفق رؤية " كامو، " تمضي الحياة، اطراداً عشوائياً والتماساً لمصالح أنانية، أو محورية ذاتية من دون أن نتأملها صادقين بحثاً عن المعنى والدور وتحقيق الذات. وتمضي الحياة دون مراجعة للذات فرداً أو مجتمعاً. وهل تستحق المعاناة؟ أم نراها بعيون العاجزين من دون أن نسأل كيف ولماذا؟ نعيش حياة غاب عنها الاختيار. حياة مفروضة هي حياة القسر والطاعة في خضوع لسلطة خارج الذات، وليست حياة الاختيار والالتزام النابغين من داخل ذات حرة مستتيرة، ومن تفاعل الذات مجتمعياً نحو هدف التضامن ووحدة المسار. فلقد غابت قيمة إبداع الحياة حين تكون اختياراً مسئولاً قرين التزام بفعل داخل إطار جمعي. هذا كله كي يتحقق يحتاج إلى مقاومة وجهاد للنفس، جرأة ومعاناة سيزيف الذي رأى أن النضال والمقاومة صعوداً إلى القمم هو جوهر معنى الحياة ولقد اتخذ " كامو " من هذه الأسطورة محوراً فكرياً لنظريته في " عبثية الوجود الإنساني ". فهي أسطورة تجسد الصراع الأبدي بين الإنسان والعالم (كامو، د.ت، ١٤٠).

وعوداً على بدء، يبقى الأمل في بناء بشرية مؤهلة وقادرة على الإبداع وعلى مواجهة التحديات وعبثية الحياة، وهو ما يتطلب معه رفع قيمة العقل الإنساني وتحريره، وتنمية قدراته لبناء الإنسان القادر على التفكير الحر، ولن يتحقق هذا إلا من خلال " تربية ثقافة المقاومة " تتبنى حركة تنوير المجتمع من خلال رؤية شاملة لتنمية الوعي بقضايا المجتمع، والوعي بالذات في إطار الوعي بالعالم وتحدياته. ولذا تكون الضرورة ملحة لإعادة النظر في محتوى وطرق وفلسفة التربية العربية في إطار فكري مقاوم، تتبنى كل أنماط التربية التحررية والتي من شأنها بناء الإنسان المبدع والذي يمتلك إرادة يبتغي منها تطوير وتنمية قدراته والمشاركة في بناء مجتمعه والنهوض به (فتيحة، ٢٠١٨، ٢). وتكمن أهمية المقاومة في التربية في أنها تقدم طرحاً جديداً لتفسير العلاقة بين التربية والمجتمع؛ فهي تحاول تحليل السلوك المعارض بطريقة مغايرة ومختلفة عن تفسيرات النظرية الوظيفية وكذلك نظريات علم النفس التربوي التي تفسر السلوك المعارض ما هو إلا مجرد سلوك منحرف وخروج عن النظام أو حالة مرضية تستدعي العلاج؛ بينما التربية تضع ذلك السلوك المعارض موضع التحليل في سياق المجتمع بمتغيراته وخصائصه المختلفة.

والتربية في هذا الصدد، تلعب دوراً كبيراً في بناء الإنسان الحر المقاوم الصانع للتغيير، بمقاومة سلب الوعي وتكريس سياسة فرض الأمر الواقع، ومقاومة طمس ملامح هويته. وهذا ما يتطلبه الإنسان المعاصر في ظل تداعيات الثورة المعرفية والتكنولوجية وانعكاساتها على الهوية الثقافية

والحضارية للمجتمع، وما يرتبط بها من قيم وأخلاقيات وأساليب حياة، كخلل بين ما يقدمه العلم والتكنولوجيا من إنجازات وبين التراجع القيمي والترويج لقيم الثقافة الاستهلاكية وظهور اتجاهات فكرية وثقافية واقتصادية مهيمنة. مما ينوط بالتربية بناء الإنسان وتأسيسه على مقاومة كل ما يكرس قهره واستعباده ويُبقي على همومه ويستلب حريته ووعيه ويقتل فيه روح الإبداع والابتكار ، ويوجد في الفكر الوجودي عامة وفكر " ألبير كامو " خاصة ما يدعم تربية ثقافة المقاومة - فكامو كان وسطياً معتدلاً ، وعضواً مناهضاً لكل ألوان الظلم والاضطهاد ، كما دعم اتجاه المقاومة والتمرد ، كمقاومة المحتل والاستعباد وغيره من أساليب القهر ، مما يدعو التربية إلى تغيير دورها من بناء الإنسان المستسلم للأوضاع السلبية (كالظلم والقهر والخوف والاستبداد) إلى بناء الإنسان المقاوم (الحر ، المسئول ، الملتزم ، الواعي ، المثقف ، المبدع ، المتضامن ، المتعاون ... الخ من جملة ما صدقات الإنسان المقاوم عند " كامو " . وكذلك تعزيز فكر المقاومة وترسيخ أبعادها في النشء والإفادة من أبعاد تربية ثقافة المقاومة التي أسفر عنها التحليل الكيفي لبعض الأعمال الفلسفية والأدبية عند " ألبير كامو " ، بما يتلاءم مع ظروف الإنسان المعاصر ومعطيات واقع التربية العربية التي يتحتم معها تربية ثقافة المقاومة للأجيال الناشئة - لاسيما في ظل تداعيات عصر المعرفة والثورة الرقمية وما فرضته من تحديات ومن هذا المنطلق تمثل تربية وتعزيز ثقافة المقاومة مدخلا هاما وأساسيا لتنمية المجتمع ، وإرساء دعائم المثل والقيم العليا الأساسية فيه والتي أكد عليها " ألبير كامو " و بناءً على ما سبق تبلورت مشكلة الدراسة .

➤ مشكلة الدراسة وتساؤلاتها

تنطلق مشكلة الدراسة من عدة منطلقات أساسية لبناء الإنسان المقاوم وتعزيز ثقافة المقاومة في ظل نظام تربوي يغلب عليه قيم الامتثال والطاعة دون إعمال للعقل ، وأيضاً تسود ثقافة الخوف والقهر والخضوع والاستسلام دون مقاومة إيجابية تتم عن وعي الفرد وإدراكه ؛ مما ألقى بدوره على تصاعد العديد من مشكلات الإنسان المعاصر كالشعور بالاغتراب وفقدان الذات نتيجة اليأس وفقدان الأمل في التغيير والعبثية في الحياة بحثاً عن حياة أفضل أو لتحقيق السعادة الهدف الأسمى المنشود من حياة الفرد على حد تعبير " ألبير كامو " (كامو ، د.ت ، ١٤٣). ولو تساءل الإنسان العربي عن الصفة الأخلاقية التي يطمح أن يتحلى بها كافة مراحل عمره خاصة مع تغيرات العصر الحديث حيث الانفتاح الثقافي والفكري كانت قيم الحرية والمقاومة والتحرر من القيود القسرية التي تسبب له الخضوع والقهر والخوف والاستسلام وينعدم مع تلك القيم السلبية الإبداع ويسلب الوعي والإدراك.

والإنسان إذا ما أدرك في لحظة من لحظات حياته أنه مقهور، وأن القدر الذي كتب عليه لا يتماشى مع طموحاته ورغباته ، فإنه بالضرورة يقاوم ويرفض هذا الواقع " العبثي / اللامعقول " الذي لا يستطيع فهمه واستيعابه وهذا ما يبرره الواقع اليوم ؛ فمعظم الشباب يعيشون حالة من القهر والاكتئاب والقلق وأحيانا الشعور بالاغتراب ، والرغبة في الانتحار - والذي تزايد معدلاته بشكل ملحوظ بين الشباب في السنوات الأخيرة - إما نتيجة خلل في أنماط وأساليب التربية ،

وإما لسلبيات الواقع التربوي الذي يغلب عليه التسلط التربوي وسيادة ثقافة الطاعة والقهر والخوف والاستسلام ، كذلك غياب الظروف المعيشية البسيطة التي تمكنهم من عيش حياة كريمة كمعظم البشر ، هذا الظلم واللامعادلة في المجتمعات والتي قمعت حرية أفرادها نتيجة الأنظمة السائدة ، دفعته إلى التمرد والمقاومة وأحيانا الثورة لاسترجاع حريتهم واستقلاليتهم، فكم من شخص تمرد وخلق القوة الاندفاعية المقاومة لباقي أفراد المجتمع للتحرر من كل أشكال القهر والاستبداد وتقييد الحرية وغياب العدالة وسلب الإرادة وتزييف الوعي والإدراك.

➤ لذا تتحدد منطلقات الدراسة في الآتي

١- الإنسان ثروة الأمم التي لا تبديد، يصنع بالتربية فتكسبه ذاته وصفاته. وهذا ما أكد عليه " ألبير كامو " حين قال " أن الفرد هو نقطة انطلاق فلسفته في الوجود والغاية النهائية منها"(كامو، ١٩٨٣، ١٨-٢٩).

٢- ليس للشعوب طبائع جامدة؛ فكل شعب هو ابن زمانه وبيئته التي نشأ بها.

٣- كل مجتمع قادر على الإبداع الحضاري وإثبات وجوده التاريخي بين الأمم، متى توافرت مقومات بناء الإنسان الحر/ المقاوم.

٤- التمرد هو نتاج امتلاك الإنسان الوعي والإدراك والإرادة الحرة المؤهلة لذلك، كما أنه نتاج وظروف وعوامل تختلف من شخص لآخر.

٥- التمرد لصيق بالقيم؛ فإذا حادت إحداها عنه فقد معناه وأصالته إذ كل قيمة من قيم التمرد تولد القيم الأخرى.

٦- قيم التمرد عند " ألبير كامو " ليست قيم مجردة، وإنما هي قيم لها واقعها ومعناها يميزها والتي تتأكد عبر أفعال الإنسان المتمرد.

٧- ضرورة الاسترشاد بفلسفة تربوية قوامها تربية ثقافة المقاومة تدعمها جميع مؤسسات المجتمع. وبناءً على ما سبق يمكن بلورة مشكلة الدراسة في السؤال الرئيس التالي:

❖ ما أبرز أبعاد تربية ثقافة المقاومة في خطاب "ألبير كامو"، وما ملامح الفلسفة التربوية المقترحة لتعزيز تربية ثقافة المقاومة؟ ويتفرع من السؤال الرئيس الأسئلة الفرعية التالية:

١- ما ملامح ومعطيات الواقع التربوي التي يتحتم معها تعزيز ثقافة المقاومة؟

٢- ما طبيعة العلاقة الجدلية بين الأدب والتربية؟

٣- ما العوامل الفكرية والمجتمعية التي أثرت في فكر " ألبير كامو "؟

٤- ما القضايا الجوهرية التي شغلت فكر "ألبير كامو"؟ وما موقفه منها؟

٥- ما أبرز ملامح وأبعاد تربية ثقافة المقاومة في خطاب "ألبير كامو"؟

٦- ما ملامح وأبعاد الفلسفة التربوية المقترحة لتعزيز ثقافة المقاومة في ظل الواقع التربوي الراهن؟

➤ هدف الدراسة

تكرس الدراسة الحالية اهتمامها لسبر أغوار قضية تربية ثقافة المقاومة وأهميتها في بناء الإنسان الحر المقاوم من كل أشكال القهر والخوف والخضوع والاستسلام والتي من شأنها أن تقتل في الإنسان الإبداع وتعطل من قدراته العقلية بتزييف وعيه وإدراكه وتجعله عاجزاً عن تحمل

المسئولية واتخاذ القرارات. وفي ضوء تلك الرؤية يتجه الهدف التربوي إلى بلورة معالم لتربية ثقافة المقاومة كما طرحها " ألبير كامو" كأحد الأدباء والفلاسفة الذين حملوا شعار " المقاومة والتمرد " في أعماله الأدبية والفلسفية.

➤ أهمية الدراسة

تتبع أهمية الدراسة من خلال:

١. حاجة المجتمع المعاصر إلى تعزيز فكر وثقافة المقاومة لدى أفرادها في ظل تداعيات عصر المعرفة وحرب العقول باستخدام تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات- والتي انعكست بدورها على هوية المجتمع وخصوصيته الثقافية والحضارية كما انعكست على تزييف وعى الإنسان وإدراكه.
٢. سلبيات أنظمة التربية والتعليم التي تُكرس لثقافة الطاعة والخضوع والاستسلام مما يتطلب معها تربية المقاومة وبناء الإنسان الحر المقاوم، الذي يمتلك مقومات الحرية والمسئولية والالتزام، الواعي والإرادة، قادراً على الإبداع والابتكار.. الخ.
٣. أهمية قضية تربية ثقافة المقاومة وما يرتبط بها من مقومات بناء الإنسان الحر الواعي.
٤. بلورة تصور مقترح لبناء الإنسان الحر المقاوم بعيداً عن تربية الطاعة والخنوع والخضوع والاستسلام، مع بيان دور التربية بمؤسساتها المختلفة في إرساء دعائم ثقافة المقاومة بين الأجيال الناشئة.

➤ منهج الدراسة وأدواتها

استخدمت الدراسة الحالية المنهج الوصفي التحليلي مستعيناً بأسلوب تحليل المحتوى في بعده الكيفي، حيث قامت الباحثة بتحليل بعض الأعمال الفلسفية والأدبية " لألبير كامو " للتعرف على أفكاره وآراءه المتعلقة بتربية المقاومة؛ بما تتضمنه عملية التحليل الكيفي من اختيار النصوص الملائمة وتفسيرها. وقد اقتضى استخلاص أفكار كامو وتصوراته حول تربية ثقافة المقاومة قراءة كل إنتاجه المرتبط بموضوع الدراسة. إذ تدرك الباحثة صعوبة فهم المرامي الحقيقية لأفكار " كامو " عن المقاومة دون الاعتماد على بعض المقولات النظرية التي أبدعها في أعماله ورواياته، والتي اعتمدت في معظمها على فكرتين جوهريتين هما: " العبيثية، والتمرد" محوري فلسفته في الوجود. وقد تطلب الأمر عدة إجراءات منهجية هي كالتالي:

- ١- استقراء الأدب التربوي المتعلق بإبراز العلاقة الجدلية بين الأدب والتربية.
- ٢- استقراء حياة ونشأة الفيلسوف والأديب المقاوم " ألبير كامو" والعوامل التي أثرت في تكوينه العام في تشكيل فكره، وسمات وقضايا عصره.
- ٣- الوقوف على القضايا الجوهرية التي شغلت فكر " كامو" وموقفه منها.
- ٤- التحليل الكيفي لخطاب كامو الفلسفي والأدبي وأبرز تلك الأعمال: (أسطورة سيزيف، رواية الطاعون، كاليجولا، الإنسان المتمرد، حالة طوارئ، العادلون، الغريب).
- ٥- استنباط أبعاد وملامح تربية ثقافة المقاومة في تلك الأعمال الأدبية " لكامو" وما تشتمل عليه من مضامين وقيم مربية .

٦- بلورة رؤية فلسفية تربوية مقترحة للإفادة من نتائج الدراسة في توجيه مسار العمل التربوي من خلال توظيف أبعاد ومضامين تربية ثقافة المقاومة في جميع جوانب الأداء التربوي والتعليمي وفق آليات وإجراءات محددة.

٧- بيان مدى أهمية وانعكاسات تربية ثقافة المقاومة على مستقبل التربية العربية وما يشوبها من مظاهر قهر الإنسان.

➤ مصادر الدراسة

اعتمدت الدراسة على نوعين من المصادر:

١- مصادر أولية، تمثلت في كتابات " ألبير كامو " للاستعانة بها في بلورة الإطار الفكري للدراسة وتدعيم الملامح الفكرية والأدبية عند كامو - لاسيما المتعلقة بفكر التمرد والمقاومة.

٢- مصادر ثانوية، تمثلت في الكتابات والدراسات التي تناولت " ألبير كامو بالدراسة لمجمل أعماله الأدبية، كذا الإفادة من الكتابات والدراسات التي تناولت قضايا الإنسان المعاصر كالوجود والحرية والمقاومة والثورة وغيرها، وكذا علاقة الأدب بالتربية بما يدعم (الأصول الأدبية للتربية).

➤ مصطلحات الدراسة

١. المقاومة Resistance

تعرف المقاومة اجرائياً " مقاومة كل أشكال اليأس والإحباط التي تدفع بالفرد إلى العبثية في ممارساته وسلوكياته والتي تعوقه عن إبداع أساليب وطرق وقيم لحياة جديدة ليست مفروضة عليه وإنما تم تشكيلها وفق إرادة الإنسان عن وعى منه وإدراك لكافة مشكلاتها، والمقاومة إذن مفهوم إنساني، وحق مشروع، تكفله كافة القوانين والدساتير الدولية والأعراف الإنسانية، وله ضوابطه وروابطه وآدابه وثقافته وأخلاقياته. والمقاومة أيضاً هي ردة فعل مجتمعية واعية، ضد واقع مرفوض، أو غير مشروع، أو لمواجهة التسلط بأشكاله المختلفة، الاستبداد، أو الاستعباد أو الظلم أو القهر أو التمييز.. الخ " .

٢. ثقافة المقاومة Resistance culture

تعرف ثقافة المقاومة اجرائياً بأنها " ثقافة مضادة لثقافات وقيم سلبية انتشرت في المجتمع وبين أفرادها، كالهيمنة والاستعباد والتسلط والقهر ونقشى أخلاق شيوع الطاعة العمياء دون اعمال للعقل دون وعى وإدراك انتهاكا لحقوق الانسان وحریات الشعوب، أي أنها " ثقافة حرية وديمقراطية وعدالة ومساواة وكرامة إنسانية ووطنية " . وتعزيز تلك الثقافة يرتبط بكيونة الانسان المقاوم ويمدى معرفته الواعية للذات وللتحديات التي تواجهه، وبامتلاكه رؤية ثاقبة تتناسب مع أهداف وغايات هذه المقاومة. لذا فهي " نظام قيمي وطني وانساني ليست وهمية، وإنما معايير للسلوك، أكد عليها" ألبير كامو " في مجمل أعماله الأدبية والفلسفية مؤكدا على: " أن التمرد لا بد أن يسفر عن قيمة "، " بالتمرد والمقاومة يولد الوعي" (كامو، ١٩٨٣، ١٨).

٣. تربية ثقافة المقاومة Resistance Education

التعريف الإجرائي لتربية ثقافة المقاومة هو " جملة الإسهامات التربوية التي تجعل من فكر وثقافة المقاومة ركيزة لبناء الإنسان الحر/ المقاوم، الواعي بحدود حريته ومسئوليته والتزامه

بتأكيد ذاته وتحديد مصيره، والمسئول عن اختياراته وتحمل تبعاتها، والذي يمتلك إرادة التغيير في مواجهة تناقضات المجتمع القائم على التسلط والقهر، وبذلك تسعى تربية المقاومة إلى: فك أو أواصر القيد الإنساني، ومقاومة كل قول وفعل يجرد الإنسان من حريته ويهدر كرامته وإنسانيته، ويكرس قهره واستعباده. وهذا يقتضي دعم قيم وركائز ثقافة المقاومة: الحرية والعدالة والمسئولية والالتزام في الفرد والمجتمع مما يؤدي إلى قهر الظلم والاستبداد ومقاومته، وبما يدفع الإنسان إلى المشاركة الإيجابية في تغيير شكل ومضمون الواقع، ليحقق أهدافه ومصالحه وطموحاته.

٤. الخطاب Discourse

يعرف خطاب كامو اجرائياً بأنه " مجمل أعمال كامو الفلسفية والأدبية والتي تراوحت ما بين روايات ومسرحيات ومقالات فلسفية وصحفية عبرت عن فلسفته في الوجود والحياة والمقاومة ".

➤ الدراسات السابقة والتعليق عليها

انطلقت الدراسة الحالية من عدة دراسات سابقة، أبرزها: (المنوفى، ٢٠٠٧) بعنوان " تربية المقاومة في خطاب " نزار قباني " دراسة تحليلية. هدفت الدراسة الى بلورة معالم تربية المقاومة كما يطرحها " نزار قباني " في خطابه. مستخدماً المنهج الوصفي بأسلوب تحليل المحتوى في بعده الكيفي. وتوصلت الدراسة الى: أن تربية المقاومة تمثل محور ارتكاز رئيس لإبداع " نزار قباني " وفي نفس السياق تأتي دراسة (المنوفى & غازي ٢٠٠٨) بعنوان " تربية المقاومة في خطاب فاروق جويدة الشعري: دراسة تحليلية). وهدفت الدراسة الى الكشف عن آفاق تربية المقاومة كما طرحها " فاروق جويدة " باستخدام المنهج الوصفي مفعلاً بأسلوب تحليل المحتوى في بعده الكيفي. وتوصل الباحثان الى عدة نتائج أبرزها: أن الشاعر مرّب بالدرجة الأولى وأن الشعر رافد تربوي أصيل لا يمكن تجاهل دوره في تشكيل عقل الانسان ووجدانه وتهذيب نفسه، وأيضاً قدم " جويدة " أسساً جديدة تقوم عليها تربية المقاومة وهي تأكيد الطابع الجدلي للثقافة الصامتة، وبناء الوعي بقيمة الوطن، وقدرة الجماهير على التغيير. أما دراسة " أميرة هارون (٢٠٠٩). وهدفت تلك الدراسة الى التعرف على دور مؤسسات التنشئة الاجتماعية في تعزيز مفهوم المقاومة، ومدى تأثير هذا المفهوم بالمتغيرات المحلية والإقليمية والدولية. واتبعت المنهج الوصفي، وخلصت الدراسة الى أن تفاوت في أدوار مؤسسات التنشئة الاجتماعية في تعزيز مفهوم المقاومة، حيث يتقدمها المسجد، يليه المدرسة، فالأسرة، فالمؤسسات غير الحكومية. أما دراسة (النخالة & أبو ليلي ٢٠٠٩). هدفت الدراسة الى بيان مدى تدعيم المناهج الفلسطينية لثقافة المقاومة، واتبعت الباحثان المنهج الوصفي بأسلوب تحليل المحتوى للوقوف على مدى تناول مناهج التربية الإسلامية، اللغة العربية، المواد الاجتماعية) لثقافة المقاومة بأشكالها المختلفة. واشتملت الدراسة على كتب التربية الإسلامية، اللغة العربية، التاريخ، الجغرافيا، التربية الوطنية للصف العاشر الأساسي. ولقد أظهرت قصورا واضحا فيما يتعلق بتضمين المقررات الدراسية للصف العاشر مدلولات ثقافة المقاومة. ومن أبرز النتائج اشتمل كتاب التربية الإسلامية اشتمل على (٢٢) مدلولاً لثقافة المقاومة المسلحة. كما اشتمل كتاب اللغة العربية على (٣٠) مدلولاً تمثل المقاومة الثقافية. أما عن دراسة (الجعب، ٢٠٠٩). هدفت الى تحديد أهم المتطلبات

التربوية في المجالات المختلفة لتعزيز ثقافة المقاومة في فلسطين. واتبعت المنهج الوصفي. ومن أهم نتائجها أن المقاومة ليست عسكرية فحسب بل هي مقاومة حضارية. وللتربية دور رئيس في تعزيز ثقافة المقاومة لدى الناشئة، وتأهيلهم لحمل رسالة المقاومة، ولابد لتربية المقاومة أن تكون تربية شاملة، بأبعادها المختلفة. أما دراسة (زايد، ٢٠١١). هدفت الكشف عن أبعاد تربية المقاومة في مسرحية الذباب لسارتر والتي قد تسهم في تنمية المقاومة لدى الإنسان، مستخدمة منهج التحليل الفلسفي مفعلاً بأسلوب تحليل المحتوى في بعده الكيفي. وتوصلت الى عدة نتائج منها: أن المسرح فاعل تربوي مهم لما يقدمه من قيم مربية ورؤى فكرية، وتوجد بعض الأفكار والمفاهيم شكلت أفكار سارتر عن أبعاد المقاومة (كالحرية والرفض والصراع والالتزام والمسئولية).

أما دراسة (أبو فودة، ٢٠١٢). هدفت التعرف الى المبادئ الأساسية للتربية السياسية، وتحديد أهم مظاهر ثقافة المقاومة لدى طلبة الجامعات الفلسطينية، والكشف عن طبيعة الثقافة السياسية في المجتمع الفلسطيني، والقاء الضوء على واقع التربية السياسية في الجامعات الفلسطينية. وتوصلت الى وضع تصور مقترح لدعم ثقافة المقاومة لدى طلبة الجامعات الفلسطينية. وأيضاً دراسة (المنوفى، وآخرين، ٢٠٠٧). هدفت الى الكشف عن تربية المقاومة كما طرحها الاتجاه الوظيفي والاتجاه النقدي. باستخدام المنهج النقدي. وتوصلت الدراسة الى عدة نتائج منها: أن تربية المقاومة فلسفة راديكالية لا تدعو الى العنف وإنما تدعو الى الكفاح الذي يحقق للطبقات المقهورة حقها في المشاركة في اتخاذ القرارات الموجهة لحركة الحاضر والمستقبل. وبعد استعراض الدراسات السابقة، يمكن استخلاص المعطيات التالية:

- استفادت الدراسة الحالية من هذه الدراسات وكانت منطلقاً لها في شقيها النظري والتحليلي.
- المنهج المستخدم: تكاد تجمع غالبية الدراسات على استخدام المنهج الوصفي التحليلي.
- أوجه الاختلاف: تختلف الدراسة الحالية عن الدراسات السابقة باختلاف متغيرات الدراسة، حيث ركزت على استقراء واستنباط خطاب كامو الأدبي والفلسفي بالاستعانة بأسلوب تحليل المحتوى لبعض من أعمال " ألبير كامو " الأدبية والفلسفية التي تنطوي على فكر وقيم المقاومة. وكذلك الوقوف على أبعاد ثقافة المقاومة في أدبياته موضع التحليل، وأيضاً الوقوف على مدى انعكاس تعزيز ثقافة المقاومة على مستقبل التربية العربية من خلال بلورة فلسفة تربوية معاصرة متضمنة أبعاد ومقومات ثقافة المقاومة.

الإطار النظري للدراسة

أولاً: ملامح الواقع التربوي وحتمية تعزيز ثقافة المقاومة

١. تطور مفهوم المقاومة في التربية

مع بداية الثمانينيات بدأ يظهر في محيط أدبيات علم اجتماع التربية النقدي مفهوم المقاومة، الذي أسدل الستار على قضية إعادة الإنتاج بمفهومها التقليدي، والذي أكد أن المدارس ليست وحدها مصدر إعادة إنتاج شخصيات التلاميذ وثقافتهم - بل إن هؤلاء التلاميذ أنفسهم يقومون بإنتاج أشكال ثقافية ترفض وتقاوم الثقافة المدرسية المهيمنة (marrow, 1998, 23).

كما أدت التحولات والتغيرات التي أحدثتها صراعات القرن العشرين في إطار الحربين العالميتين الأولى والثانية وظهور المد الاستعماري في أنحاء عديدة من العالم؛ إلى بزوغ وازدهار فكر وفعل المقاومة وصعود حركات المقاومة والتي امتدت إلى القرن الحالي. تلك التحولات حددت شكل وطبيعة العلاقات الدولية والمحلية بل وحددت طبيعة العلاقات بين طبقات المجتمع وبين هذا المجتمع والتربية.

واتضحت أبعاد وآليات المقاومة في الأدب والفكر عامة وفي الفكر الوجودي خاصة وتبلورت في أعمال العديد من المفكرين والأدباء أمثال (هنري جيرو، إيفان ايلتش، باولو فريري، جان بول سارتر، وألبير كامو، سيمون دي بوفوار، وإيميه سيزير، وغيرهم). كما انعكس فكر المقاومة على الممارسة التربوية من خلال العلاقة الجدلية بين التربية والمجتمع، وما يموج به من اتجاهات فكرية. وقد ميزت الدراسات في علم اجتماع التربية بين اتجاهين رئيسين هما: الاتجاه الوظيفي ويمثل (اتجاه التوازن الراض لفكر المقاومة). والاتجاه النقدي الذي ينتمي إليه الفيلسوف والأديب الفرنسي " ألبير كامو " رغم تعدد مداخله إلا أنها تتفق على فكرة الصراع في تفسير الواقع الاجتماعي، ومن ثم تبني فكر وثقافة المقاومة (المنوفى، ٢٠٠٧، ٢٧٦-٢٨٢).

ومن هنا بدأت فكرة النضال من أجل تعليم الجماهير باعتبار أن التعليم يؤدي للتحرير، وحيث يعمل على خلق فرد مبدع، قادر على حل مشاكله، قادر على الاختيار، حر الإرادة، ونتيجة للممارسات التي مارستها قوى القهر المختلفة من الأنظمة السياسية والطبقات المسيطرة لاستلاب حرية الإنسان وتعويده على الخضوع، والإذعان والامتثال لها، ظهرت فكرة المقاومة في التربية كأحد فروع التربية النقدية في أدبيات علم اجتماع التربية الجديد. وارتبط مفهوم المقاومة على مر التاريخ بفكرة المقاومة المسلحة سواء الشعبية أو العسكرية، وكان هذا المفهوم هو السائد لفترة طويلة من الزمن وظهر ذلك في أسماء حركات التحرير على مستوى العالم التي سميت بحركات المقاومة. ومازالت حتى الآن تحمل نفس المسمى غير أن مفهوم المقاومة بدأ يأخذ أبعاداً جديدة خلال القرن العشرين، وبدأ يتسع المفهوم ليستوعب أنواعاً جديدة من المقاومة لكافة أشكال وصور التسلط (أماظ، ٢٠١٣، ٢٨).

وتكمن أهمية المقاومة في التربية في أنها تقدم طرماً جديداً لتفسير العلاقة بين المجتمع والتربية في محاولة تحليل السلوك المعارض بطريقة مغايرة ومختلفة عن تفسيرات النظرية الوظيفية وكذلك نظريات علم النفس التربوي والذي يرى أن السلوك المعارض ما هو إلا مجرد سلوك منحرف وخروج عن النظام أو حالة مرضية تسترعي العلاج. فتربية المقاومة تطرح علاقة جدلية بين فاعلية الذات الإنسانية وسياق الثقافة المهيمنة، فالقهر لا يتم مواجهته دائماً بصورة سلبية. وإنما يمكن القول بأن المعرفة كما تستخدم للقهر تستخدم للتحرر، والذي بدوره يمكن أن يؤدي إلى الإبداع (عمار، ١٩٩٥، ١٥-٢٩).

وفي ظل تداعيات عصر المعرفة والثورة التكنولوجية، لم تعد المقاومة بالسلاح وحده، فتلك وظيفة الجيوش والمقاومة الشعبية. وإنما أصبحت المقاومة بالفكر والثقافة أيضاً. ويزخر التراث الثقافي الإنساني بطواهر متنوعة من المقاومة، يتفاعل معها الناس، وترتبط قدرتها على تحقيق

أهدافها، بدرجة احتضان المجتمع لها، وإدراكها السليم للتحديات التي تواجهها، وامتلاكها الوعي والرؤية الخلاقة، والبنية التنظيمية، والقيادة المؤمنة بفكر المقاومة، والإرادة الواعية.

٢. الفلسفة الحاكمة لمفهوم المقاومة

نتيجة للانتقادات التي وجهت للاتجاه الوظيفي ومداخل إعادة الإنتاج ظهر ما يسمى " بنظرية المقاومة ". فلقد سعى عدد من المفكرين النقاد أمثال " إيفان ايلتش، إيفرين ريمر، باولو فريري، هنري جيرو " تقديم ملامح نظرية المقاومة، أكدوا من خلالها أن آليات معاودة الإنتاج الاجتماعي والثقافي لا يمكن أن تكون مكتملة، ودائما ما تواجه بعناصر المقاومة والمعارضة، سعوا الى الربط بين البنى الاجتماعية والإرادة الإنسانية، والفعل والأمل، ونظروا الى الأفراد باعتبارهم من يملكون القدرة على احداث التغيير (ألماظ، ٢٠١٣، ٣٩). وارتكزت " نظرية المقاومة " على رافدين أساسيين:

الرافد الأول: ارتكز بصورة أساسية على اجتهادات كل من " إيفان ايلتش، وإيفرين ريمر ". حيث اعتبروا أن المدرسة كمؤسسة تربوية تحولت الى آلية تطويع تسلب الانسان كل أسلحته التي تمكنه من الحياة الحرة الكريمة، لتجعل منه كائنا آخر بلا إرادة وبلا اختيار يحصل كل ما يعرض عليه في خضوع وسلبية وعجز تام؛ فتحولت بذلك من مؤسسة مسؤولياتها تنمية الأفراد واعدادهم لتحمل مسؤولية المجتمع في المستقبل، الى أداة تعرقل هذا النمو، محققة بذلك أهداف متناقضة مع وجهتها الأصلية (تركي، ٢٠٠٠، ٧٢) (Marrow, 1998) (وبفعل السيطرة والهيمنة على تكوين الشخصية، يصعب أن تنتج شخصية حرة ومستقلة يقوم عليها المجتمع الحر .

فنادى أنصار هذا الاتجاه بتربية حرة مقاومة يتخلص فيها الانسان من قهر البرامج المُعدة مسبقا، ليحقق ذاته، فيتعلم بنفسه وفق معاناته الشخصية وطبقا لرغباته الحقيقية في المعرفة. وأساس التربية الحرة هو الإفادة العملية من كل ما ينجح الانسان في تحصيله من معارف نظرية ومهارات وقدرات عملية، وهو ما يعنى التخلص نهائيا من العلاقة التي تربط الفرد بنظام تعليمي تقليدي، حوله الى مجرد متلقى سلبي للمعلومات، وإيجاد علاقة جديدة تربط الانسان بكل العوامل والبنىات والمنظمات ذات القدرة على تنميته، واكسابه الخبرات التي تمكنه من السيطرة على الحياة، والعيش بصورة أفضل (حسين، ٢٠٠٨، ٩٠)، (على، ١٩٩٥، ٢٤٣). ولكن على الرغم من نجاح رواد اللامدرسية في تجربة الواقع المدرسي، وإبراز الكثير من مسالبه، وافتوا الانتباه إلى أهمية ما يمكن أن تسهم به أطراف اللامدرسية في التربية، إلا أن رؤيتهم تدعو الى المراجعة والتفكير، فليس الحل الغاء المدرسة، وهذا ما حاول رواد الرافد الثاني تقديمه.

الرافد الثاني: يعتمد على الاجتهادات الفكرية لكل من " باولو فريري، هنري جيرو " حيث طرح " فريري " فكرته عن المقاومة في مؤلفه " تعليم المقهورين " pedagogy of oppressed" وتركز حول " كيف يستطيع المقهورون المقسمون أن يساهموا في تطوير أسلوب أو نمط تعليمي يستهدف تحريرهم (هلال، ٢٠١٣، ١٥)، (جاد، ٢٠٠٣، ١٣٤ - ١٣٥). ويرى " فريري " أن تعليم المقهورين كممارسة إنسانية من أجل الحرية وكمقاومة ثقافية لا بد أن تمر بمرحلتين: (المنوفى، ٢٠١٤، ١٤)، (Paulo Freire 1970)

الأولى: تجلية القهر أمام المقهورين حتى تتاح لهم المقاومة والنضال من أجل استرداد حريتهم، وتتم هذه العملية من خلال ممارستهم للنضال والتزامهم بتغيير هذا الواقع).

الثانية: بعد أن تتضح حقيقة القهر لا يصبح التعليم من أجل المقهورين فقط، بل تعليم لكل الذين يمرون بعملية التحرر الدائم.

وفي كلتا الحالتين تصبح المقاومة وحدها هي التي تتصدى لثقافة القهر والتسلط والاستعباد. وترتكز آليات وأساليب التربية التحريرية وفق رؤية " فريري " على التعاون، والوحدة من أجل التغيير، والتنظيم، والتآلف الثقافي (عمر، ٢٠٠٧، ١٣٤)، كما تمثل جهود " جيرو " أحد مداخل المقاومة الهامة، فقد حاول التوفيق بين النظريات النقدية المختلفة، وذلك بإدخال بعض التعديلات على تلك النظريات لتحررها من الدوجما المسيطرة عليها. وتمثلت تلك التعديلات في الاعتراف بأهمية الطبيعة الجدلية للواقع الاجتماعي، الاعتراف بأهمية الفرد كجزء مؤسس لهذا الواقع، ورفض الحتمية المبالغة للاقتصاد باعتباره محددًا أساسيًا للبنية الفوقية، وما يصاحبها من نظرة إلى وعي الإنسان واعتباره انعكاس للوجود الإنساني، كذلك رفض عقيدة الماركسية الأرثوذكسية التي تختزل السلوك الإنساني إلى مجرد ظاهرة تعكس رأس المال، والتأكيد على أهمية الطبقة الاجتماعية كوحدة للتحليل، مع الاعتراف بأهمية البعد الأنثروبولوجي: أي ممارسات الحياة اليومية، أو فعل الإنسان ونضاله كمجال نظري وسياسي للبحث والتغيير " (عمر، ٢٠٠٧، ١٣٥)، (أحمد، ١٩٩٣، ١٠٤-١٠٥). وتخطى " جيرو " في طرحه لمفهوم المقاومة مجرد النقد إلى طرح البدائل والأمل في التغيير يُعلى فيه من قيمة الفعل الإنساني في مقاومته للسيطرة وقدرته على أحداث التغيير الأفضل في المجتمع وإقامة المجتمع الديمقراطي أساسه الحرية والديمقراطية والعدالة والمساواة والكرامة الإنسانية.

٣. دعائم ومرتكزات مفهوم المقاومة وفق أنصار "نظرية المقاومة": وتأسيساً على ما سبق من عرض رؤية أنصار "نظرية المقاومة"، يمكن عرض رؤيتهم لأسس ودعائم مفهوم المقاومة. (بدران، ١٩٩٣، ٢٨، ٢٩)، (أحمد، ١٩٩٣، ٢١-٢٤)، (نوفل، ١٩٨٥، ٩٩-١٠٧)، (Giroux, 2001)

- ✓ الإيمان العميق بالإنسان، وبقدرة الجماهير على تغيير أوضاعهم، وتغيير العالم من حولهم.
- ✓ العالم عملية متجددة وليس وضعاً ثابتاً.
- ✓ الوعي والنظرة الثاقبة مفتاح الطريق إلى فهم العالم وتغييره.
- ✓ رفض المبالغة في تأكيد دور المدرسة في إعادة إنتاج سيطرة المجتمع الرأسمالي على حساب دورها في المقاومة والتغيير، لأن عملية التعليم لا يمكن اقتصرها فقط في مجرد انتقال أيديولوجيا الطبقة المهيمنة على عقول وقلوب الطلاب، بل هي زاد للوعي والتأمل الناقد لمختلف الفئات الاجتماعية لكي تصبح فاعلة ومؤثرة في كينونتها وصيرورتها، بدلا من أن تكون مجرد راضية عنها، أو ناقمة عليها مقهورة منها.

- ✓ تأكيد أهمية العلاقة الجدلية الحاكمة لفاعلية الذات الإنسانية في تقاطعها مع سياق الثقافة المهيمنة بما يتيح مسافة لإرادة الانسان، ودوافعه النفسية وطموحاته الاجتماعية بما يخلل العلاقة الجبرية، والتي يؤكد عليها كثير من نظريات علم اجتماع التربية.
- ✓ تأكيد العلاقة الجدلية بين الفعل الإنساني والبنية، وآليات معاودة الإنتاج الاجتماعي والثقافي لا يمكن أن تكون مكتملة، ودائما ما تواجه بعناصر المقاومة والمعارضة.
- ✓ معرفة العلاقة المتناقضة بين الفهم والفعل، ولماذا لا تؤدي أحدهما إلى الآخر في جميع الأحوال، للوقوف على كيفية وصول السيطرة الى بنية الشخصية.
- ✓ تطوير مفهوم للسيطرة؛ لا يقصرها فقط على القهر الطبقي؛ بل يأخذ في الاعتبار كل الفئات المقهورة (المرأة، الأطفال، الملونين، الأقليات) عند تحليل السيطرة والصراع في التعليم لمعرفة أشكال المقاومة الخاصة بها، لنقود تربية المقاومة هذه الفئات، لممارسة نضالها .

٤. العلاقة الجدلية بين الأدب والتربية ومفهوم المقاومة

يمثل الأدب مرآة تعكس سمات الحياة في أي مجتمع، كما أنه عامل فعال في خلق تلك السمات ومعبراً عنها. ويعد الأدب رافداً تربوياً يلعب دوراً في التوعية والتنقيف وتشكيل العقل، وتشكيل الخلق. وتلك أهداف تربوية مهمة، كما يحمل الأدب دوراً مريباً لما يجسد من روايات ومسرحيات وقصص تجسداً حياً لقضايا الإنسان والحياة والموت والحرية والتمرد والمقاومة والثورة.. الخ (زايد، ٢٠١١، ٢٣٧). وهذا يعكس العلاقة التفاعلية بين الأدب والمجتمع بأساقه المختلفة ومنها - النسق التربوي. فإذا كانت فلسفة التربية تجيب عن: من نربي؟ ولماذا نربي، وكيف نربي؟ وأين نربي؟ في أسئلة يطرحها الأدب أيضاً خاصة الأدب الملتمزم الذي ينتمي إليه الكثير من الأدباء والمفكرين ومنهم الأديب الفرنسي " ألبير كامو ".

والأدب في رأي " كامو " نشاط إنساني جوهري، بل من أشد نشاطات الإنسان أصالة. فهو يعبر ويدافع عن تطلع الإنسان إلى الحرية، والانسجام، والجمال، وهي التي تؤلف سعادة البشر النسبية (برى، ١٩٨١، ٢٦٠)، ولم يكن الفيلسوف الفرنسي والروائي والمسرحي " ألبير كامو " فيلسوفاً وأديباً متأملاً في قضايا الوجود والمجتمع وهو منعزل عن سياقهما، بل كان يحمل موقفاً اجتماعياً مسانداً لقيم الإنسانية، وضد الظلم والقهر والاضطهاد في كل مكان في العالم. وظل يدافع عن تلك القضايا الوجودية طيلة حياته. ولا شك أن الأدب الكاموي، يسمح بوفرتة الإبداعية بهذا التلاحم بين الأدب وقضايا الفلسفة التي لا تتأى بنفسها عن الفن والأدب، فهي تتفاعل معه عارضة قضايا هامة أمام الأدب (كالإنسان، الحرية، المصير، الموت، الانتحار، التشاؤم، التفاؤل، التناهي واللاتناهي، الوجود، العبث، التمرد والمقاومة، الحب.. الخ).

ومن ثم كانت الأعمال الأدبية " لكامو " منبراً للدعوة إلى فكر المقاومة، فقد تربت أبطال أعماله الأدبية على الدمار الذي خلفته الحرب العالمية الثانية، ومأساة الفاشية والنازية وقسوة الاحتلال النازي لفرنسا الذي عاشه " كامو " ورفاقه، شعور الإنسان بحالة من القلق على مستقبله، وقد شارك " كامو " الإنسان في عصره كل من القلق والخوف، وأيضاً المقاومة والثورة كأديب

وفيلسوف وجودي ومواطن جزائري المولد والنشأة، فرنسي الأصل (الموطن) مقاوم الاحتلال ولكل ألوان الاستبداد والاضطهاد.

وبذلك فالأديب فاعل ثقافي ومربٍ يمكنه تجسيد أحلام مجتمعه وأشواقه في الخلاص من القهر بتضمين نصوصه شعرية كانت أم نثرية - معايير وقيم ثقافة المقاومة والتي تعبر عن آمال وطموحات الإنسان الخاضع في التحرر والعدل والديمقراطية والمساواة .

والدراسة الحالية تحاول أن تظهر جانباً آخر في علاقة الأدب بالتربية من خلال استقراء أعمال كامو الأدبية والفلسفية التي جسدت فكر المقاومة وأبعادها وما يدور في فلكها من قيم ومعايير أخلاقية كالعدالة والحرية، والمسئولية، الالتزام، الوعي، الصمود والإرادة والتحدي، الإبداع، الاعتدال، التضامن الإنساني.. الخ حيث استطاع " كامو" من خلال أعماله الأدبية ودورها الفاعل التأثير على الوعي الفردي والجمعي الفرنسي بل والعالمي ودعم فكر وثقافة المقاومة، وذلك عبر أفكاره وإبداعاته الفلسفية والأدبية.

وفى ضوء ما سبق، وفى إطار تلك العلاقة الجدلية بين الأدب والتربية ودعم فكر وثقافة المقاومة، تتبلور الأصول الأدبية للتربية وفيها يلعب الأدب دوراً تربوياً في حياة المجتمع فهو يضع نصب أعيننا دائماً على الظروف التي تحيط بنا وبطبيعة الحياة ومتغيراتها وسلبياتها وتناقضاتها. كما يقع على عاتقه ترسيخ القيم في المجتمع وبخاصة قيم تحرير الإنسان لانتشاله من براثن القهر والخوف والظلم والتسلط والاستعباد والخضوع والاستسلام.

٥. دواعي الاهتمام بتعزيز ثقافة المقاومة

إذا كانت ثقافة المقاومة هي رد فعل مشروع على فعل غير مشروع مستمر طالما لم يتم تصحيح الواقع. فالإيمان بقدرة الشعوب على تجسيد ارادتها أفعالاً، هو أساس خيار المقاومة وضمانتها لتحقيق النتائج المرجوة على أرض الواقع، بينما تعتبر الحاجة النابعة من ظروف المجتمع الذاتية وخصائصه المحلية هي العامل الرئيس لنشوء المقاومات الشعبية. وبعد تعزيز وترسيخ ثقافة المقاومة جاء كضرورة ملحة في ظل الاستهداف الاستراتيجي الدولي ذو الطابع العدوانى، وأنظمة حكم عاجزة عن المواجهة. وتعزيز ثقافة المقاومة يبدأ بالكلمة والفكر الى الرصاصة مروراً بأشكال الممانعة المتعددة في الاقتصاد والثقافة والمجتمع والفكر وانتزاع الحكم الرشيد. ولتعزيز ثقافة المقاومة وقدرتها على التغيير يكون بدرجة احتضان المجتمع لها، والقادر على استيعاب أهدافها وعاملاً أساسياً في بنائها. هذا الى جانب الدعم المادي شرط أساسي لنجاح المقاومة. كما ترتبط المقاومة بفكر يتناسب مع أهدافها ومبادئها قادر على قيادة النضال داخلياً ضد الاستبداد والفساد وخارجياً ضد العدو. تبدأ رحلة المقاومة بإدراك الفرد أو الجماعة للظروف المحيطة، والتحديات، مع صياغة موقف ممانع لهذه الظروف وذلك الواقع وإرادة التغيير (المنوفى ، ٢٠٠٧ ، ١٣).

كما تتجلى أهمية تعزيز ثقافة المقاومة، لحاجة المجتمع المعاصر إليها في ظل تداعيات عصر المعرفة وحرب العقول باستخدام تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات- والتي انعكست بدورها على هوية وخصوصية المجتمع الثقافية والحضارية، كما انعكست على تزييف وعى الانسان وادراكه

هذا بالإضافة الى ما يشهده الواقع التعليمي والتربوي من سلبيات عدة تركز لثقافة الطاعة والخضوع والاستسلام مما يتطلب معها تربية ثقافة المقاومة .. ويُعد من أبرز دواعي الاهتمام بتعزيز ثقافة المقاومة معطيات الواقع التربوي التي يتحتم معها تربية وتعزيز ثقافة المقاومة، ملاحظ ذلك الواقع يوضحه المحور التالي.

٦. واقع التربية العربية وتعزيز ثقافة المقاومة - ضرورة ملحة

إن التربية التي تقوم على العنف، والتعسف، والقهر، والتسلط ومصادرة الحرية أقصر الطرق لتحطيم الفرد، وتدمير المجتمع. وتعاني التربية العربية من مشكلات وتحديات كبيرة، وأزمات حقيقية تعوق مسيرتها، وتقف حجر عثرة أمام تحقيقها لأهدافها. وأبرز ملاحظ ومعطيات ذلك الواقع التربوي والتي تجعل من تربية ثقافة المقاومة ضرورة ملحة ما يلي:

أ- السلطوية في التربية / إعادة إنتاج ثقافة القهر الاجتماعي

إن الاستبداد ظاهرة أصيلة وممتدة في الثقافة العربية عامة والمصرية خاصة، حيث أصبح التسلط جزءاً من الشخصية العربية، ومكوناً من مكونات الشخصية المصرية. وما يجعل خيار الاستبداد قابلاً للاستمرار في ظروف التحول الاجتماعي هو قدرته على إعادة إنتاج نفسه من خلال تفعيل وتوجيه أو إقصاء العوامل المختلفة التي تؤثر على الحراك الاجتماعي. والتربية العربية، ببنياتها وتوجهاتها وأساليبها، تعمل في كثير من الأحيان على تكريس مناخ السلطوية (الخميس، ١٩٨٨، ٥). والسلطوية هي الخضوع التام للسلطة ومبادئها بدلاً من التركيز على الحرية (السورطي، ٢٠٠٣، ٤٥) أو هي استخدام القوة لذات القوة، ومن صورها: الشدة، والعقاب، والقاء الأوامر، والتهديد، والتوبيخ، والإحراج (الأشول، ١٩٨٢). وينطلق التسلط بصورة مختلفة من مبدأ العلاقات العمودية التي تسود في إطار الأسرة أو المجتمع أو الحياة السياسية بصفة عامة، وتأخذ هذه العلاقات طابع القوة والإكراه. وغالباً ما يعاد إنتاج التسلط في بيئة تربوية واجتماعية متسلطة (السورطي، ٢٠٠٩، ١٥-٣٢).

كما عملت التربية العربية أحياناً كأداة لتخليد التسلط الاجتماعي من خلال تنشئة الأطفال على الخضوع والتبعية، وتربية الأفراد على أساليب تعسفية. فابتداءً من الأسرة، مروراً بالمدرسة، وانتهاءً بالجامعة وباقي المؤسسات الاجتماعية الأخرى يتم التعامل مع الفرد في بعض الأحيان بطريقة عنيفة، ولا إنسانية، وتعسفية جامدة تقوم على إصدار الأوامر وفرضها، دون مشورة أو مناقشة، حتى تعودت الأجيال الحديثة على أن يفكر لها آخرون في كل ما يتعلق بحياتها ومستقبلها، وما عليها سوى السمع والطاعة، فقد شكلت نفسية التلقي عقلية غير قادرة على النقاش والإقناع.

لقد طغت السلطوية على بعض جوانب التربية العربية حتى كاد يسودها، ما أسماه البعض بـ "نهج اغتيال العقول والنفوس" (عبد الدائم، ١٩٩١، ٢٧٨). ومن أبرز مظاهر السلطوية في التربية: السلطوية في (التربية الأسرية، المناهج الدراسية، الإشراف التربوي، الإدارة التربوية، التمييز التربوي، شيوع الأمية، ضعف الحرية الأكاديمية في الجامعات، تسليع التربية، اللفظية التربوية، الماضية التربوية (السورطي، ٢٠٠٣، ٥). ومن ثم تصبح التربية أداة لإعادة بناء

هرمية المجتمع. وهو ما يعنى أن المدرسة كمؤسسة تربوية في الاستبدال تصبح أداة لتثبيت وتبرير هذا الواقع وإعادة إنتاجه. ومن ثم فإن المدرسة في الأنظمة التربوية العربية توظف لأداء دوراً أيديولوجياً يتمثل في إعادة إنتاج علاقات القوة والسيطرة ؛ والتي تأخذ شكل العلاقات الهرمية القائمة في المدرسة كالعلاقة بين المدير والمعلم والمتعلم ، ولأن مثل هذه القيم لا يمكن تعلمها كقيم نظرية ، لذا فإن المدرسة تعمل على تفعيل هذه القيم بصورة حية مجسدة من خلال الممارسة التربوية المستمرة في إطار العلاقات التي تنشأ بين المعلمين والمتعلمين بوصفها نسقاً من علامات الخضوع والسيطرة والهيمنة كنموذج حيوي للعلاقة القائمة بين القاهرين والمقهورين في إطار الحياة الاجتماعية ، ولعل هذا ما يبدهد العلاقة الضبابية بين القهر الاجتماعي والقهر التربوي. وعليه تتجلى أهمية التربية التحررية كبعد هام من أبعاد تربية المقاومة.

ب- استلاب الإرادة الإنسانية

يشهد الواقع الاجتماعي والتربوي بإنتاج الشخصية السلبية نتيجة ما يمارس من أساليب القهر والاستبدال، تلك الشخصية يعترها روح الهزيمة والضعف والاستسلام والخضوع والإذعان والخوف مما يكرس ثقافة القهر السائدة في التربية العربية، ويشكل القهر التربوي الإطار العام لعملية تشريط تربوي سلبية تبدأ في إطار الأسرة وتنتهي في المؤسسات التربوية المختلفة. (السورطى، ٢٠٠٣، ١٢٤). وما يتعرض له النشء من قهر وتسلط تربوي يضعهم في دائرة استلاب شامل تركز كافة مظاهر القصور السلبية في الشخصية المصرية. وعليه تتجلى أهمية تربية الإرادة، والتي تقتضى استبعاد كل مظاهر القهر والاستبدال وما يتبعها من استلاب للإرادة؛ لأن الإنسانية القوية والحرية تتشكل وفقاً لسمات الفرد وقدراته الخاصة لا وفقاً لما يفرض عليه ، وهو ما لا يمكن أن يحدث ما لم يتم رفض التوجهات التربوية القائمة على النزعة الاجتماعية التي تخضع الإرادة للواقع وفي هذا تجاهل تام لما يجب أن يكون، وتتجلى أهمية تربية الإرادة كبعد هام من أبعاد تربية المقاومة حيث تمنح الفرد القدرة على النقد والإبداع ، والقدرة على اتخاذ القرارات ، وتحمله المسؤولية تجاه تبعات تلك القرارات .

ت- شيوع ثقافة الخوف

الخوف يعكس موقفاً وجودياً أصيلاً في الحياة الإنسانية، عززته التفسيرات المختلفة لكثير من الظواهر الوجودية والإنسانية والطبيعية، لكنه عندما تتجاوز الحد الطبيعي للخوف المرافق للإنسان وعندما يتعدى الحيز الخاص للفرد إلى الحيز الثقافي فإنه شكل - برأى علماء الاجتماع - ظاهرة ثقافية جديدة من نوع خاص في المجتمعات هي " ثقافة الخوف " (المسفر، ٢٠٠٩، ٣٩١). وتعمل مؤسسات التربية المختلفة وأنظمة مختلفة على إنتاج هذه الثقافة ونشرها بطريقة مقصودة من أجل تحقيق أهداف معينة، كإحكام السيطرة الاجتماعية، وتحقيق الضبط الاجتماعي؛ والذي يعد أحد أهم الأهداف التي تسعى إليها تلك المؤسسات عبر إنتاج ثقافة الخوف، تلك الثقافة تجعل المقهورين هياكل خاضعة ومستلبة حتى من الحرية ومن التحول نحو الديمقراطية فيعيد إنتاج ثقافة القهر؛ والتي تصنع هي " ثقافة الخوف " في دائرة مغلقة يصعب الفكك منها. وهنا تتجلى أهمية التربية الديمقراطية كبعد هام من أبعاد تربية المقاومة.

ث - شيوع ثقافة العنف

برزت نظرية المقاومة في التربية Resistance Theory لتؤكد على مساعي فئة من الطلاب لصياغة أشكال سلطة جديدة مقاومة لسلطة مهيمنة داخل مؤسسات التعليم، حيث تطرح علاقة جدلية تبرز فيها فاعلية الذات الإنسانية في تقاطعها مع سباق الثقافة المهيمنة. فالقهر ليس مجرد عملية يواجهها الأفراد جميعهم بصورة سلبية، كما أنها ليست عملية كاملة محكمة الحلقات، وبخاصة فيما يتصل بالجماعات المقهورة؛ والحاصل أن سلوكها إنما يقع بين طرفي متصل هما الإذعان للقهر ومقاومته (عمار، ١٩٩٣، ٢٤). إذ يقوم التلاميذ بإنتاج أشكال ثقافية ترفض وتقاوم الثقافة المهيمنة داخل المدرسة، ويأتي العنف مقدمة لمعظم الأشكال الثقافية المقاومة التي تأتي رد فعل العنف القوي، وفي هذا الإطار يشير (فريري)، إلى " أن القهر يعنى بالضرورة وجود علاقة تسودها العنف، و لا يوجد في التاريخ كله ما يشير إلى أن العنف قد بدأ به المقهورين، إذ كيف يتصور أن يكونوا البادئين وهم في حقيقتهم نتاج ممارسه العنف ضدهم، بل كيف يمكن أن يبادر هؤلاء بالعنف وهو في حد ذاته عمل موجه ضدهم، فمن المستحيل أن يكون هناك مقهور عنيف بدون أن يكون هناك عنف قد مورس ضده من قبل. فالعنف لا يبدأ به القاهرون الذين لا يستطيعون إدراك الحقيقة الإنسانية في غير أنفسهم" (فريري، ١٩٨٠، ٤٣). وعلية تتجلى أهمية تربية المقهورين على المقاومة وامتلاك الإرادة الحرة.

ج - قتل العقل والإبداع

وهذا مرده أن النظام التربوي يعيد إنتاج أخلاق الطاعة، وكثيراً ما يقال على المصري أنه نشأ وترى على الطاعة واحترام السلطة والصبر والتحمل، إلا أنه وفقاً لمنظور الصراع، نجد أن الثقافة العربية تحمل في طياتها صراعاً مستمراً بين قيم الطاعة والحرية؛ فيسود أحياناً الصبر والاستسلام وضبط النفس ولو على حساب الكرامة، وأحياناً أخرى يسود التمرد والتحدي ومواجهة الظلم. والطاعة تؤدي إلى قتل العقل وتكريس العبودية، فتغيب كل امكانيات الإبداع. وثقافتنا تكاد لا تعرف إلا الموافقة هي المبدأ. وبالتالي فالرفض والتمرد هو الاستثناء. والطاعة تشكلت بسلطة وقوة قهرية وتزييف للوعي، تجسد في أخلاقيات غاب عنها الوعي الناقد، وإعمال العقل والتحرر والثقة والصدق والرقى، واتسمت بالخوف والطمع والاستسلام والخضوع وأحياناً الخنوع والمسايرة والامتثال (رياح، ٢٠٠٣، ٨١-٨٤). ومن ثم فالمناخ التربوي والاجتماعي الذي يسوده القهر قاتل للإبداع، الذي يتعارض مع القهر والخضوع لأي شيء؛ لأن الإبداع يكتشف مالم يكتشف بعد، ويتجاوز إلى ما هو أبعد من الواقع، وبذلك يتعارض الإبداع مع كل قيد، وكل مؤسسة هدفها الإبقاء على ما هو موجود ورفض ومقاومة التغيير نحو الأفضل؛ فهي تساهم في قتل العقل والإبداع.

إن فاعلاقة وثيقة بين الحرية والإبداع، فالإبداع عطاء خيال حر، وعقل تتفتح له الآفاق، وإرادة تمتلك الاختيار، ولذلك ينمو الإبداع في رحم الحرية. فالطاقات المبدعة لا تنبت في أجواء الظلم الاجتماعي وغياب الحرية والديمقراطية، والتي هي أبرز حقوق الإنسان، والتربية الحقيقية هي جوهر هذه القيم التي تتعاقد الأسرة والمدرسة لتكريسها، كما أن تربية القهر تترك آثارها على

شخصية الفرد فتصيبه بالخوف والحزن، والإحساس بالعجز، وعدم القدرة على تحمل المسؤولية، والانطواء، ورفض الممارسة الديمقراطية بأية صورة كانت جراء تكريس القهر وكل ما من شأنه أن يعطل طاقات العقل والإبداع. وعليه تتجلى أهمية تربية الإبداع كأحد أهم أبعاد تربية المقاومة.

ح- الاغتراب

أي اغتراب الانسان عن قيمه ومبادئه وأهدافه وطموحاته أو عن بيئته الاجتماعية مع شعوره بضعف الروابط بينه وبين أعضاء مجتمعه وعدم الانتماء لهم. ويعرفه السورطى بأنه " حالة ذهنية يشعر فيها الفرد بأنه منعزل عن ذاته أو المجتمع أو كليهما ومن مظاهره: (السورطى ٢٠٠٣، ٥٤)، (الخويت، ١٩٩٩، ١٧-٢٢)

- العزلة الاجتماعية؛ وتعنى الوجود المادي والانفصال الروحي عن المجتمع، وبالتالي عدم المشاركة في الأنشطة الاجتماعية.

- العجز بمعنى الشعور بعدم القدرة في التأثير في الشؤون العامة والخاصة، وعدم القدرة على الاختيار مع الشعور بحالة من الاستسلام والخضوع.

- غياب المعنى: أي فقدان الحياة لمعناها ودلالاتها وخلوها من الأهداف التي تستحق العيش والسعي من أجلها.

- غياب المعايير: وهو غياب القيم الثابتة وانحلالها أو تناقضاتها وازدواجيتها وسيطرة مبدأ " الغاية تبرر الوسيلة " فتشيع الفردية والانتهازية والنفعية واعتماد الحظ والصدفة.

- الغربة عن الذات: وهي إحساس الفرد بابتعاده عن ذاته بسبب عدم قدرته على ايجاد الأنشطة المكافئة ذاتياً فتصبح قدراته وذاته مجرد أشياء منفصلة.

ويعتبر التعليم القائم على القهر مصدراً أساسياً للاغتراب حيث يتحول الطلاب من خلاله إلى كائنات مغتربة، ومهمشة، ومستلبة الإرادة، ومستسلمة يسهل السيطرة عليها، وتعاني من ضعف القدرة على التفكير الناقد، وتعيش بإرادة مسلوحة ووعي مزيف، ومنفصلة عن ذاتها ومجتمعها، وتتحول المؤسسات التعليمية إلى مصانع تنتج أفراداً مغتربين ليسوا أكثر من آلات بشرية تسمع فتطيع بغير مناقشة وإبداء رأى (السورطى، ٢٠٠٣، ٦٣).

ومن النتائج المحتملة للاغتراب التمرد على المجتمع، والخروج على معايير وقيمه والسعي إلى تغييره بطريقة ثورية أو إصلاحية، منظمة أو فوضوية، سلبية أو إيجابية، عنيفة أو سلمية، متطرفة أو معتدلة. وهنا تتجلى أهمية بث الأمل وامتلاك القدرة على التغيير كأحد أهم أبعاد تربية ثقافة المقاومة.

خ- الاستبعاد / الإقصاء الاجتماعي (صناعة القهر)

والاستبعاد الاجتماعي هو نقيض الاندماج أو الاستيعاب ، وهو ليس أمراً شخصياً ، ولا راجعاً إلى تدنى القدرات الفردية فقط بقدر ما هو حصاد بنية اجتماعية معينة ورؤى محددة ومؤشر هام على أداء هذه البنية لوظائفها وحالتى الإدماج والاستبعاد الاجتماعى عبر التعليم إنما تحركها عوامل عدة تتحكم فى العملية التعليمية ، فالأبنية التعليمية المجهزة أو غير المجهزة، والأنشطة

الطلابية الجاذبة أو الطاردة، وأساليب التعليم التلقينية أو الاستكشافية ، والعلاقة بين الطالب والمعلم وغيرها من العوامل التي تدفع إما إلى خارج أو داخل العملية التعليمية .

ويبدأ الإقصاء الاجتماعي عادة من داخل النظام التعليمي حيث تمارس المدرسة دوراً في عملية الإقصاء؛ وذلك من خلال حرمان الطلاب من فرص التفاعل فيما بينهم وفصلهم عن بعضهم البعض تبعاً لقدراتهم وأعمارهم وإقصاء الطلاب عن عملية اتخاذ القرار التي تتميز بالبيروقراطية، والروتين، وعدم الفاعلية، والتميز، وسوء العلاقة بين المعلمين والمتعلمين وانعدام معنى الكثير من النشاطات والخبرات داخل المدرسة (السورطي، ٢٠٠٣، ٥٥). والاستبعاد الاجتماعي يتعارض مع مبدأ تكافؤ الفرص، حيث يؤدي إلى وجود فرص تعليمية ومهنية غير متكافئة، كما أنه يشكل إنكاراً للفرص المتكافئة على صعيد المشاركة وهو الأخطر، فالاستبعاد عادة ما يعرف بوصفه حرماناً مستمراً، فالاستبعاد وما يؤدي إليه من عدم المساواة وفقدان فرص التكافؤ، يحرم الأجيال الجديدة من فرص الحصول على تعليم جيد وبالتالي فرص مهنية جيدة. والأمر في مجمله ومضمونه وشكله هو آليه من آليات صناعة القهر. ولذا يسهم التعليم في دعم ما يسمى (مجتمع المخاطر) ويعنى: الانتقال إلى مجتمع تهدده مجموعة من المخاطر وتتزايد الفجوة الطبقيّة بين الأغنياء والفقراء، وتزداد معه معدلات البطالة خاصة بين الشباب، وتتسع دائرة الفقر والحرمان ويتسع نطاق الفساد وتترسخ سياسات التهميش والاستئثار بالسلطة التي تزداد تلاحماً مع المال، ويهدد السلام الاجتماعي، ويثير مشاعر الغضب، ويزيد من احتمالات الانفجار والتمرد ، هذا الواقع يقتضي معه دعم مبادئ حقوق الإنسان التي تكفل قيم العدالة والمساواة وتكافؤ الفرص.

د- تزييف الوعي الاجتماعي

يحدث الوعي الزائف false consciousness طبقاً للنظرية الماركسية عندما تخفق الطبقة الاجتماعية في تمييز المسار الذي يتماشى مع مصالحها الحقيقية من بين مسارات العمل السياسي والولاءات السياسية، وتكون مثل هذه الطبقة خاضعة لنوع من الأيديولوجيا هي أيديولوجيا الطبقة المسيطرة. ويؤدي الوعي الزائف إلى ما يسمى بتخدير الألفة غير التاريخية " حيث يألف الناس كل ما يحيط بهم من أنساق وبنى ومؤسسات إلى حد نسيان أصول نشأتها والمرامي التي قامت من أجلها واكتسبت وجودها المشروع، فيمضون حياتهم مغيبين الوعي، ومن ثم فاقدين للإرادة والمبادرة الحرة، ومن ثم يكفون بدور الشهود على تاريخهم الذي يصنع أمامهم وليس بدور الصانعين له " (تركي، ٢٠٠٣، ٣-٤). وتكون محصلة كل ذلك انتاج المواطن المقهور، السلبي، الفاقد لروح المبادرة والإبداع، العاجز الذي يفتقد الفكر الضروري، والقدرة اللازمة على المشاركة الفعالة والعمل العام، مواطن يعاني فراغ فكري وجهل وضحالة ذهنية من الناحية الاجتماعية والسياسية، ومن ثم تتمدد قاعدة (الأغلبية الصامتة) ويتحقق الشرط الأساسي لاستمرار واستقرار سيطرة النظم التسلطية القهرية.

وفى ضوء المعاني المختلفة للوعي يصبح الوعي الزائف هو ادراكا غير حقيقي، وانعكاسا مغلوفا مشوها للواقع الاجتماعي، ويشمل هذا التزييف: (عبد المعطي، ١٩٧٦، ٩٣):

١. تصور المشكلات بطريقة معينة مغايرة للواقع وأحيانا للصواب.

٢. تحديد المشكلات بما قد يحقق مصالح معينة.

٣. الحيلولة دون إدراك الأسباب الحقيقية للمشكلات خاصة ما يمس مصالح بعض الطبقات. والتربية في ظل الاستبداد لا تفعل شيئا أكثر من سلب الإنسان ذاته وتسخيره لخدمة أغراض، هي أبعد ما تكون عن الوفاء بحاجاته الإنسانية، وتربية كهذه تحول الإنسان إلى آلة يتحكم بها الآخرون. وينطوي التعليم على قوة إقناعيه زائفة للمواطن بأن شكل المجتمع وبنية النظام الاجتماعي الذي يعيش فيه بريئان تماما من أي فشل يتعرض له (بدران، ٢٠٠٣، ١٨).

ذ- فوضى الهوية في ظل مجتمع الشبكات الرقمية

لقد ساهم التحالف بين العلم والتقنية والثقافة في تعميق الهوية بين عناصر الهوية، وبخاصة في ضوء تغيرات المجتمع المعاصر وبروز العالم الافتراضي كشريك أساسي ساهم في خلق " مجتمع شبكي " موازٍ ساهم بطريقة أو بأخرى في إعادة صياغة منطق التواصل والعلاقات الإنسانية عبر التكنولوجيا الرقمية. في ضوء ذلك أضحت الهويات تبنى ضمن سياقات عالمية لا محدودة، بفعل تأثير الشبكات الاجتماعية والإعلامية الرقمية التي أعطت دلالات جديدة أوسع من الفضاءات المحلية. وبخاصة أنها تميزت بعمق تأثيراتها في توجهات الفئات والشرائح الاجتماعية الأكثر استخداما لها - وهم الشباب - نتيجة اعتمادها على التقنيات المعلوماتية.

ويبدو مضمون الهوية الافتراضية هو عملية تتميط فعلى ، مادتها ذوات الفاعلين التي أضحت تخضع لعملية نمذجة في ظل المجتمع الشبكي ، وبخاصة أن سياقات التبادل المعلوماتي المتسارع عبر الشبكات الافتراضية يفتح الباب على مصراعيه لتداول عناصر بل نماذج ثقافية متعددة ، وعليه يجد المستخدمون لهذا الفضاء الافتراضي أنفسهم محاطين بنماذج ثقافية متنوعة تجعلهم في وضعية مساءلة دائمة بين ثقافة أصيلة يسعون الى الحفاظ عليها وأخرى وافدة قد تعزلهم أو تهيمن عليهم ، لتنعكس مباشرة على مضامين هويتهم التي تبرز تماثلاتها في تداولاتهم الافتراضية ، ومن ثم ممارساتهم الواقعية وتطلعاتهم لأدوارهم الحضارية (رحومة، ٢٠٠٥، ٣٠٤)؛ فقد أحدث مجتمع الشبكات جملة من التغييرات الثقافية تمثلت في ممارسات جديدة في القراءة والكتابة، تغير في نمط العادات والتقاليد وأنماط وأساليب الحياة وطرق التسلية والترفيه، وطرق وأساليب التواصل، وأيضا تعددت مصادر الحصول على المعارف والمعارف، ومصادر الإخبار والتنقيف، كما ظهرت لغة جديدة متداولة بين فئة الشباب " لغة الفرانكو - العامية، مما قد تُحدث تهديدا مباشرا لعناصر الهوية الثقافية للمجتمع.

و في ضوء ما سبق ، يتضح أن التربية القائمة على القهر والتسلط ، والاستبعاد ، والتمييز ، والترفيف ، وغياب نمط التنشئة الاجتماعية القائمة على المواطنة النشطة والقيم الديمقراطية ، والتي هي انعكاس لثقافة المجتمع ومؤشر للبنية الاجتماعية السائدة ، قد كرسّت ذهنية عقلية تعيد إنتاج كل القيم والعلاقات الاجتماعية السائدة والقائمة على القهر والتسلط والاستبداد والطاعة ، والاستبعاد والتمييز ، ونمو النزعات الفردية ، خاصة مع التمايزات الطبقيّة ، وهو ما يسهم في تآكل القيم الإنسانية التي تدعم حقوق الإنسان كالحرية ، والعدالة ، والمساواة ، وقبول

الاختلاف وحق المشاركة . تلك المعطيات التي تسود مناخ التربية العربية، يستلزم تجاوزها بناء جهد منظم ومخطط لتغيير نمط التربية القائم على تربية القهر والتسلط والاستبداد والطاعة إلى تربية المقاومة القائمة على تربية الإرادة والصمود، التربية التحريرية، تنمية الوعي الإنساني، إرساء قيم حقوق الإنسان، تربية الإبداع، تحقيق التضامن البشري؛ لذا لزم الأمر التوجه نحو نمط للتربية لا يقبل برواسب النمط القديم ، نمط تحرري جوهره بناء الإنسان الحر الواعي بتناقضات وسلبيات المجتمع والمقاوم لها، ممثلاً في - نمط التربية التي تقوم على المقاومة - التي أن تتجاوز معطيات الواقع التربوي الحالي بكل سلبياته، لتصبح تربية للحياة، نقاوم فيها الجهل والتبعية، حملات التعريب الفكري والثقافي، نمتلك الوعي بأدوات المقاومة من امتلاك العلم والثقافة والإرادة الحرة والوعي والإدراك كأحد المقومات الهامة لعصر العلم / تكنولوجيا.

وفى إطار كل السلبيات التي انتشرت داخل المنظومة التعليمية والتربوية، وتلك الآليات التي دعمت إعادة إنتاج الهيمنة والاستبداد في مقابل الطاعة والاستسلام، كان في المقابل هناك محاولات جدلية تدخل كناقض لما سبق في علاقات تفاعل وتبادل وتأثير وتأثر لتنتج بذلك " ثقافة المقاومة Resistance culture. والمقاومة إما سلبية وإما ايجابية تبنى على تقييم ذاتي وإدراك لنواحي الخلل والقصور ومن ثم فهي محاولة جادة للثورة على الواقع المغلوط ومحاولة تصحيح مساره، وطالماً وجدت فكرة المقاومة، تتجسد ما صدقاتها على أرض الواقع عندما تجد من يؤمن بها، ويمتلك أدواتها. وفى هذا السياق، تبلورت أبعاد تربية ثقافة المقاومة في سياق تربية الإنسان الحر الذي يمتلك الوعي والإرادة، في أعمال العديد من الأدباء والفلاسفة، نخص بالذكر منهم - الفيلسوف والأديب الفرنسي " ألبيير كامو " والذي نُعت بفيلسوف " العيب والتبند " فكانت تلك الفكرتين الجوهريتين الغالبة في مجمل أعماله الفكرية والأدبية.

ثانياً: ألبيير كامو (ملاح عصره، والعوامل التي أثرت على فكره)

لا يمكن فهم وقراءة " كامو " بمعزل عن حياته الخاصة، فقد حول كل تجارب حياته إلى أفكار نابضة جسد فيها كل ما يشعر به المرء من قلق على مصيره وخوف مما يتهدده. ولا شك أن " كامو " يعتبر شاهداً على عالم يميزه التفكك الدائم والصراع والعنف والإخفاق في التعبير عن قضايا الإنسان ومشكلاته تعبيراً صادقاً. وقد بدأ الشعور بالاغتراب والتأزم ينتاب احساس " كامو " منذ أن فقد والده في الحرب العالمية الأولى، ثم سرعان ما ازداد حدة مع تأزم مشكلة الإنسان في الحرب العالمية الثانية، وقد أدى انعدام المعايير والقيم الإنسانية في معالجة هذه المشكلة بسبب الاعتبارات السياسية إلى قلق واضطراب تؤطره نزعة من التمرد والمقاومة، تعبر عن اتجاه متميز في الأدب الحديث بدرجة النقاد فمن " أدب الشكل " حمل رايته كل من " كامو وسارتر وكافكا "، أدب قيل في حقه إنه ينشد متعة الحياة في كنف الموت (بلقندوز، ٢٠٠٦، ٤).

١. ألبيير كامو - حياته ونشأته، وإبداعاته الفكرية والأدبية

ولد " ألبيير كامو " في السابع من نوفمبر سنة ١٩١٣ في قرية مندوفى بالجزائر لأب فرنسي وأم إسبانية. ومنذ أن فقد كامو والده في الحرب العالمية الأولى، قضى طفولته وشبابه في الفقر؛

فامتألت نفسه بأحاسيس الأذكياء من طبقة الكادحين: الشعور بالظلم، ومرارة النقاوت الاجتماعي بين الطبقات، واستعلاء الأغنياء والمترفين. وهي مشاعر تقضي عند بعض النفوس إلى الاستسلام والرضا بالكفاف والفرار إلى عوالم خارقة يخلقها الوهم، ولكنها على العكس من ذلك تؤدي إلى التمرد والثورة على الأوضاع والسخط الشامل، وأحياناً إلى الرغبة في التدمير والميل إلى العنف والانتقام الطائش لدى بعض النفوس. وعلى الرغم من ذلك، كان " كامو " يخفف من وقع هذه الفاقة النكراء شيئاً: شمس الجزائر الحارة الناعمة، وبحرها الأزرق القاتم الذي يعمر الخيال الواسع (بدوي، ١٩٨٠، ٢٠٢).

➤ واستطاع " كامو " أن يحصل على منحة دراسية في الليسية بالجزائر من خلال معلمه في المدرسة الابتدائية " جيرمان Germain " المؤمن بتحرير الطبقات وبث مبادئ الاشتراكية وفي الليسية أحس " كامو " بالظلم الاجتماعي وأدرك أين مكانه في سلم المجتمع. إنه ليس بين بني وطنه الفرنسيين بل بين أولئك المغلوبين على أمرهم من المسلمين والفقراء الكادحين. ولإصابته " كامو " بمرض السل "، رأى أنه لن يكون له قبل بمهنة التدريس، فأنصرف عن التفكير بها وانخرط في سلك وظائف الدولة. ولكن عمله الكتابي بين مكاتب المديرية لم يمنعه من الكتابة الأدبية، فراح يكتب مقالات صغيرة ظهرت بعنوان " الزفاف Noees"، واهتم بتأليف فرقة مسرحية، كان معظم الممثلين فيها من المسلمين الجزائريين. وشغله المسرح كثيراً: تمثيلاً وقراءة. وفي تلك الأثناء تعرف على أدب دوستوفسكي، القصصي الروسي: فكلاهما ذو حس مرهف، وبخاصة فيما يتعلق بالأحوال الاجتماعية، ومشكلة الأغنياء والفقراء: وكلاهما مؤمن، وليس ثم موضوع محدد لهذا الإيمان (بدوي، 1980، ٢٠٢). وفي تلك الأثناء استهوته الصحافة " البير كامو "، حينما توثقت صلته بالصحفي الكاتب " بسكال بيا " رئيس تحرير جريدة " الجزائر الجمهورية " (Alger Republican) وأول مقال كتبه كامو كان تحقيقاً عن بؤس العمال القبائليين، بين فيه الأحوال الاجتماعية الموهلة في الشقاء التي يعانيها هؤلاء الذين يعملون في خدمة الرأسماليين المستعمرين في الجزائر، وهم جميعاً من المسلمين، فتنبهت السلطات الاستعمارية في الجزائر، وفي باريس نفسها، إلى خطورة هذا الذي أيقظ الوعي والمقاومة ضد استغلال المستعمرين، ونبه الراقدين في فرنسا إلى الجريمة التي يرتكبها أبناؤها الطغاة في الجزائر. ومن هنا كان " لأبير كامو " الفضل في كونه من أوائل الفرنسيين الذين تنبهت ضمائرهم لجرائم الاستعمار الفرنسي، مما كان إيذاناً بما سيفضي إليه في النهاية هذا الوعي من تمرد ومقاومة وثورة على المستعمرين والاستعمار، وكان إرهاباً بحركة التحرير الجزائرية الباسلة. وإثر ذلك المقال انتقل " كامو " إلى باريس. وعمل سكرتير تحرير بجريدة باريس المسائية (Paris soir) وفي أثناء عمله كان حريصاً على مشاركة العمال حياتهم وأعمالهم لأنه كان يشعر بأنهم أقرب إليه رحماً من هيئة التحرير والكتاب (بدوي، ١٩٨٠، ٢٠٣-٢٠٤). ولكامو مؤلفات عدة، منها ما تمثل في مسرحيات، ومنها روايات، قصص، أبرزها: (وقائع ١٩٣٥، الوجه واللقا/ الاتجاه والناحية ١٩٣٧، الغريب/ وأسطورة سيزيف ١٩٤٢، كاليجولا وسوء

تفاهم ١٩٤٧، حالة طوارئ ١٩٤٨، العادلون ١٩٤٩، الانسان المتمرد ١٩٥١، السقطة ١٩٥٦، المقصلة (١٩٥٧).

٢. كامو والمقاومة

الواقع أن " كامو " لم يكن فقط روائياً أو فيلسوفاً وإنما كان أيضاً كاتباً سياسياً منخرط في هموم عصره وقضاياها مثل صديقه اللود " جان بول سارتر ". فكان " كامو " صحفياً ويكتب عن الأحداث الجارية كما يفعل بقية الصحفيين. ومع اندلاع الحرب العالمية الثانية، أراد كامو الانخراط في المعارك، لكن حالته الصحية حالت دون ذلك. وبعد هزيمة فرنسا انتقل من باريس إلى كليرمون فراند (Clermont ferrand) بالقرب من فيشى في المنطقة غير المحتلة آنذاك ، وانتقلت كذلك صحيفة " باريس المسائية " ، وفي تلك الفترة تحديداً سنة ١٩٤٠ كتب أولى رواياته الكبرى وأشهرها ، وهى رواية الغريب " L'Étranger " ولكنها لم تظهر إلا سنة ١٩٤٢، ثم انضم إلى حركة " المقاومة " للاحتلال الألماني ، فاشترك في خلية "الكفاح " وعاش مستتراً في باريس ، وكان يطبع هو وجماعة من أصدقائه نشرة كفاح سميت بهذا الاسم " الكفاح / combat " ، ما لبثت بعد تحرير باريس ١٩٤٤ أن تحولت صحيفة يومية كانت لسان المقاومة الشعبية في فرنسا ، وأصبح " كامو " رئيساً تحرير لها منذ ذلك التاريخ (بدوى ، ١٩٨٠ ، ٢٠٣) . واشترك في تحريرها: سارتر وبال وأوليفيه وغيرهم مم بلغوا قمة الشهرة فيما بعد.

وكان نجم كامو قد بدأ يعلو، فأصبح هو وسارتر عنوانين لحركة أصيلة جديدة في الأدب والفكر الفرنسيين. فاتجه " كامو " إلى الكتابة الأدبية، فتولت رواياته ومسرحياته ومقالاته الأدبية، وأصبح يُعد على رأس الحركة الأدبية الفكرية الصاعدة في فرنسا هو وصديقه سارتر. بيد أنه كان في المواقف السياسية البارزة يرفع صوته عالياً ضد الظلم والاستبداد وضد الاستعمار بكل أنواعه، وبخاصة الاستعمار الفرنسي في شمال إفريقيا. ولا يمكن أن ينسى له العرب مواقفه العظيمة في الدفاع عن حريات تونس ومراكش (المغرب) خصوصاً حينما عزل السلطان محمد الخامس ١٩٤٥. ومن المواقف التي يشار لها بالبنان وقفته - ألبير كامو - مع المقاومة الجزائرية في نضالها ضد الاستعمار الفرنسي وطالب ساسة بلده من ترك الأراضي الجزائرية وعدم التدخل في شئونهم الداخلية، ومنح شعب الجزائر حقه في الحرية وتقرير المصير، حرية الاختيار والعيش والحياة (السعدى، موقع ويب). وفي هذا السياق ظلت القضية الجزائرية شاغل " كامو " الأكبر وقد ذهب إليها على الرغم من التهديدات التي وجهت إليه، ألقي خطابته في العاصمة الجزائرية بعنوان " من أجل هدنة مدنية في الجزائر " قال في نهايته " يجب أن نكون جديرين بأن نحيا يوماً في حياة البشر الأحرار، حياة البشر الذين يرفضون ممارسة الإرهاب أو الخضوع للإرهاب ". ولكن لم يتخذ كامو موقفاً حاسماً يؤيد استقلال الجزائر (الشرقاوي، ٢٠٢٠، ١٤-١٥).

ورغم تصريح كامو لولائه لفرنسا، رغم الانتقادات التي وجهت له، بأنه مروجاً للدعاية الاستعمارية، إلا أنه لم يخفى هويته الجزائرية، وهذا ما أوضحه في خضم الثورة الجزائرية، أعلن أمام الأكاديمية السويدية، أثناء تسلمه جائزة نوبل في الأدب عام ١٩٥٧ " أن أكثر ما يميزه هو

أنه فرنسي من الجزائر". ورفع دوماً شعار (الأخلاق ضد العنف)، مواقفه هذه جعلته خائناً في نظر الطرفين (الحاج، ٢٠١٣).

ودعماً للاتجاه الفكري والأدبي الذي سلكه " ألبير كامو " اصطبغت كتاباته بمقته الشديد لأساليب القوة والعنف والسيطرة وإدانته الاستعمار الفرنسي للجزائر، ويظهر ذلك في قوله " إن أكبر معركة يجب أن يخوضها الإنسان هي معركته مع نفسه، معركة ينتصر فيها حب العدالة على شهوة الحقد ". ولا شك إن مولده في بلد المليون شهيد جعله أكثر ميلاً وتعلقاً به وتفاعلاً معه، فطفق يدعو إلى تمرد الجزائريين في وجه الاستعمار الفرنسي، فيعلن موقفه الواضح بقوله " إن نفوس الفرنسيين مليئة بالحقد وهو حقد أسود أرفض أن أشارك فيه، لقد كلفتنا هذه القضية كثيراً ومازالت تكلفنا، فليس لشعب أن يستمد حريته من استعباد شعب آخر " (برابح، ٢٠١٦، ٣٠٥-٣٠٦). وبذلك يعد مفهوم "المقاومة" مرتكزاً أساسياً في خطاب " ألبير كامو "، كما يعد مدخلاً مهماً لتحليل علاقة الأدب بالتربية والمجتمع، وفي هذا السياق يقول " كامو " إن الأدب نشاط إنساني جوهري، بل من أشد نشاطات الإنسان، أصالة، فهو يعبر عن تطلع الإنسان إلى الحرية، والانسجام، والجمال، وهي التي تؤلف سعادة البشر النسبية " (برى، ١٩٨١، ٢٦٠). ومن ثم كانت الأعمال الأدبية " لكامو " منبراً للدعوة إلى فكر المقاومة، فقد تربت أبطال أعماله على الدمار الذي خلفته الحرب العالمية الثانية، ومأساة الفاشية والنازية وقسوة الاحتلال النازي لفرنسا الذي عاشه " كامو وقاومه "، وكذلك شعور الإنسان بحالة من القلق على مستقبله، وقد شارك "كامو " الإنسان في عصره كل من القلق والخوف، وأيضاً المقاومة والثورة، كأديب وفيلسوف وجودي رغم عدم اعتداده بالمذهب الوجودي، وكمواطن جزائري المولد والنشأة فرنسي الأصل (المواطن) مقاوم الاحتلال ولكل ألوان الاستبداد والاضطهاد وانعدام الأخلاق والقيم. كما يعد التمرد والمقاومة سمة جوهريّة في خطاب كامو جسدها في مجمل أعماله لاسيما- أسطورة سيزيف، الطاعون، كاليجولا، الإنسان المتمرد والعداؤون- تلك السمة تكشف عن رؤية نقدية يحاول " كامو " تبصير الأفراد بمصالحهم وحقوقهم إدراكاً منه أن تحقيق مصالح الأفراد يحتاج إلى تنمية الوعي النقدي، والعمل الجماعي المخطط الذي ينطوي على قيم التضامن الإنساني، إثارة الصراع السياسي حول قضايا السلطة والتحرر الاجتماعي. تلك الرؤية تنظر إلى التمرد والمقاومة من زاوية الشجب الأخلاقي الذي يدعم قيم المقاومة التي أكد عليها كامو، والذي يمكن أن يؤدي إلى تغيير الواقع.

وإن كان للمقاومة جانبين من وجهة نظر " كامو " : أحدهما مادي يتجسد في التضحية بالروح والدم من أجل الوطن وهو ما لم يؤكد عليه " كامو " مطلقاً لأنه نظر إلى الثورة أنها تتحرف عن المعنى الإيجابي للتمرد حيث يغلب عليها العنف. أما الجانب الآخر للتمرد والمقاومة وهو الجانب المعنوي، وفي هذا الجانب يتجلى فعل التربية حيث يؤكد " كامو " في خطابه الأدبي العديد من المثل والقيم التي تنتشدها تربية ثقافة المقاومة في كل مراحلها فنراه يؤكد على أن المقاومة لا تستقيم بدون إرساء قيم الكرامة الإنسانية التي تتجسد في: قيم الاعتدال ومراعاة الحدود، قيم الحرية والعدالة، التضامن الإنساني والانتقال من " الأنا " إلى " نحن " وذلك في

قوله في كتابه " المتمرّد " أنا أتمرّد.. إذن نحن موجودون " ، وأيضاً قيم الوعي والإدراك، والوعي بالطبيعة الإنسانية، والمسئولية. هكذا عاش " كامو " حياة لم تخل من العبث والتمرد والمقاومة ولكنها حياة حافلة بالتفوق والعطاء ونبذ العنف والاستبداد وحب الإنسان.

٣. مصادر فكر البير كامو (صاحب فكر مزدوج بين ثقافتين)

لم تكن أفكار " كامو " صادرة عن قراءات قرأها أو مبادئ عقلية مجردة استهوتها وخبلت فضوله الفكري. بل نبعت من أعماق الشعور بالتجربة الحية مما عاناه في حياته: إبان طفولته وصباه في أزقة مدينة الجزائر. وإن أي دراسة تُكرّس " لألبير كامو " لابد أن تتقيد بعنصرين مهمين يشكلان خصوصية فلسفته هما:

أ- الإطار التاريخي، لم تكن المرحلة التي عاش فيها " كامو " مرحلة عادية بل مرحلة ذات

خصوصيات كبيرة لأنها ترتبط بتاريخ واحد وشعبين وأرضين مختلفين، هذه المرحلة هي تاريخ استعمار فرنسا للجزائر، ومعايشته لمرحلتين من تاريخ بلدين وشعبين المرحلة الأولى: تتجلى فيما قبل الثورة التحريرية، والثانية: إبان الثورة التحريرية. وهذا التاريخ يشكل مفارقة كبيرة جداً هي أن الجزائر كانت تقاوم من أجل الاستقلال وفرنسا من أجل البقاء، هذا التاريخ يدفع الفيلسوف إلى اتخاذ موقف صارم وحاسم يحدد به مساره الفلسفي. أيضاً يفتح الإطار التاريخي على إشكالية الوجود لكل من الشعب الفرنسي والجزائري و هو ما أثر كثيراً في الفلسفة الغربية عموماً والفرنسية خصوصاً. بحيث لا يوجد فيلسوف فرنسي أو عربي عاش تلك المرحلة إلا وقد أبدى رأيه بخصوص القضية الجزائرية (مزيان، ٢٠١٣، ٢٧٨-٢٨٠).

وفي هذا السياق أيد " كامو " الثورة الجزائرية في سياق نضاله من أجل العدل والمساواة، وواجه كامو عدوانية الاستعمار الفرنسي للجزائر وفضحها، كونه وفياً للجزائر " أرضه الحبيبة "، ودفع الثمن باضطراره للهجرة إلى فرنسا. وقد حرسه جماهير الثورة من هجمة المستوطنين الصارخين " الموت لكامو " حين زار الجزائر في مسعى أخير لوقف العنف، وخاب مسعاه.. ولجأ إلى الصمت، كحل لموقفه الذي يرفضه الطرفان المتصارعان، وهو كان صريحاً عام ١٩٥٧ حين قال " هناك من يزرع قنابل في التراموايات الجزائري، وقد تكون أمني في أحد القطارات، فإذا كان البعض يرى هذا القتل عادلاً، فأنا أفضل حياة أمني " (كامو، ٢٠١٠).

ب- الإطار المكاني، إنه الفضاء الذي جرت فيه أحداث الإطار التاريخي والذي عاشه " ألبير

كامو " بكل ثقله التاريخي إن كان من الجزائر حيث ولد وترعرع وفرنسا المكان الذي يرتبط به كإنتماء والذي مات به، وذلك الإطار المكاني الذي بلور نظريته الفلسفية، تلك النظرة التي أدت إلى التأمل في الوجود. حيث طرح عدة أسئلة وجودية بخصوص العدالة والمساواة والإعدام متسائلاً عن فرنسا ذات القيم الحضارية وهدف المسؤولين الفرنسيين من الإقدام على ما يخالف التحضر. حبه للبلدين جعله ينتج هذه الفلسفة الوجودية من خلال أعماله الفكرية والأدبية (الروايات، المسرحيات، المقالات، التحقيقات الصحفية والحوارات الفلسفية مع الجرائد والمجلات المتخصصة من خلال مسيرته الفكرية (مزيان، ٢٠١٣، ٢٤).

ت- العوامل الذاتية

❖ **حياته الفقيرة:** عاش كامو " حياة جد فقيرة، فهذا الفقر يتحدى الواقع، وكان كحافز له من أجل مقاومة وتحدي الوضع وتحقيق الأفضل، فكامو كان يشعر بقيمة هذه الحياة المفروضة عليه حيث دافع عن المظلومين في كتاباته، لأنه عاش هذه التجربة وكانت كمصدر لكتاباته. وهذا ما جعله يشعر بغيره " فكامو ظل رافضاً لكل أنواع الظلم واللاعادلة سواء كانت اجتماعية أو سياسية، ومهما كان مصدرها كان يفعل ذلك اعتقاداً منه أن " **اللاعادلة هي التي تجعل البشر تعساء**" (الذهبي، ٢٠١٥، ٤٢-٤٥). ولم ييأس كامو بل قاوم وضعه. فهذه التجربة مكنته كثيراً استقائه لأفكار عديدة من خلال هذه الحياة الفقيرة، فكانت مصدراً يستعان به من خلال حياته الذاتية.

❖ **المرض،** لم تكتفى حياة كامو من الفقر الذي كان يعيشه فقط، فقد زاد عليه المرض الذي تعرض له ، وكان يهدد حياته بين الحين والآخر. فقد عانى كثيراً من مرض السل. ولكن رغبته في الحياة جعلته يتمسك بها ويقاوم هذا المرض من خلال الأعمال التي أبدعها. والتي جسدت معظمها عبثية الحياة وسبل الخروج من تلك العبثية بالتمرد والمقاومة.

ث- **المصادر الموضوعية:** فكأي فيلسوف نجد أن كامو استقى فلسفته من خلال تأثراته الفكرية الفلسفية. حيث تتلمذ على يد أستاذه " جان جرونييه " وقد أثر فيه كثيراً وهو ما عبر عنه كامو نفسه " **أنا مخلص لطريقتي، ولهذا ستجدون صدى فكر أستاذي جرونييه دائماً في كل ما أكتبه وأنا سعيد بذلك** ". كما تأثر كامو بكل من نيتشه في العدمية ومسألة الخلق والوجود الإنساني، و" شوبنهاور " من خلال فلسفته التي تحمل نوعاً من التشاؤم والقلق والضيق. بالإضافة إلى بعض الوجوديين الألمان الذين استقى منهم كامو فلسفته. كما ساهمت أيضاً ازدواجية الانتماء، أي أنه كان ينتمي إلى الفكر الأوروبي، والفكر العربي "الجزائري " وهذا جعل فكر كامو مزدوج بين ثقافتين مختلفتين (الذهبي، ٢٠١٥، ٤٧). ومن ثم فقد تأثر " ألبير كامو " ببعض الفلاسفة من خلال فكره الفلسفي، كما أثرت أيضاً الطبيعة الجزائرية على فكره، والتي تحدث عنها وجسدها في معظم مؤلفاته. اتخذ كامو من " العبث والتمرد " محاور أساسية لفلسفته في الوجود، فنجده قاوم عبثية الحياة وظروفها القاسية بالتمرد والمقاومة لكافة أشكال الظلم واللاعادلة، والفقر والمرض من أجل الحياة وتحقيق السعادة الهدف الأسمى في فلسفة " كامو " .

٤. فلسفة ألبير كامو في الوجود

لا يختلف اثنان في أن " كامو " بصم بقوة تاريخ الفكر الإنساني بمواقفه من القضايا الهامة التي شهدتها النصف الثاني من القرن العشرين وكذلك نتاجه الأدبي والفلسفي والصحفي الذي أنصب أساساً على التفكير في الإنسان وفي مصيره. وكان " كامو " يمثل نموذج فكري جديد، أعاد التفكير في المصير الإنساني وأسس لما يسمى " الطريق الثالث " في زمن كان العالم فيه منقسماً بين المعسكرين الشرقي الشيوعي والغربي الرأسمالي، وفضل " كامو " الاستمرار في البحث عن طريقه الثالث، رافضاً بقوة المساس بحياة الإنسان وبحقه في حرية التفكير والقول، مؤسساً بذلك مفهوم جديد آنذاك؛ **مفهوم " الإنسان المتمرد " LHomme** وبنوك، ٢٠٢١،

١٠٨-١٠٩). وعلى الرغم من كون " كامو " كان صحفياً وروائياً إلا أن هذا لا ينفي عنه صفة الفلسفة، لأنه يمكن أن يكون المرء فيلسوفاً دون أن يكون منظرًا للفلسفة بل يمكنه تجسيدها في نوع من الكتابة، وهذه هي إحدى ميزات الفلسفة الوجودية والذي يعد " البير كامو " أحد أهم أقطابها وقد ساهم فيها من خلال أعماله المختلفة والمتنوعة. فقد كانت كتاباته بالفعل فلسفية، فمثلاً روايته الشهيرة " الطاعون La peste ".*

نجدته بالفعل يجسد في رواية الطاعون رؤية تأملية وفلسفية يمكن القول إنها وجودية وإنسانية فهي تجسد " أن المرض يقود الإنسان إلى اكتشاف حقيقته العميقة: يظهر أن الإنسان لم يبلغ التكيف مع الحالات الجديدة التي يحاول دوماً التعامل معها حسب ردود أفعاله القديمة، وعبثية الحياة العمياء " (مزيان، ٢٠١٣، ٢٧٨-٢٧٩). وبذلك تصبح الكتابة الروائية فلسفية لتأملها في القضايا الإنسانية بنظرة فلسفية، سواء من خلال حواراته أو كتاباته يصرح " كامو " علانية عن توجهه الفلسفي.

❖ كامو وسارتر أحد أبرز أقطاب الفلسفة الوجودية

ليس بوسع أحد أن يتحدث عن كامو دون سارتر، حيث اقترن اسميهما بالفلسفة الوجودية، وفيما بعد انفصلا فصلاً عميقاً في الفكر والصدقة، "فكامو" يتجه نحو "إننا غير مسؤولين عن أماننا وأبيننا، أو اسمنا، أو ديننا، فكلها حصلت قبل وجودنا، أما المستقبل، أو المصير فنحن مسؤولون عنه، وعلينا أن نقرره، ونختاره، وهذه هي الحرية المسؤولة"، فيما يتجه سارتر نحو " إن الحرية هي الرعب"، ويتجه كامو نحو "التكاتف والتضامن الإنساني"، أما سارتر يرى " أن الجحيم هو الغير".

✚ (*) رواية الطاعون La peste: تعتبر من أضخم الأعمال الفلسفية الأدبية التي ألفها " كامو " وكان اختيار كامو الطاعون عنواناً لروايته هو نتاج معاصرته حقبة الاستعمار النازي لفرنسا وشقائه بين المرض والمنفى، فالطاعون هو الرعب والموت والشقاء والمرض، وأبطال الطاعون هم أطباء يطمحون في معالجة الناس في مدينة وهران (بالجزائر) وخلاصة من هذا الوباء. وتوضح تلك الرواية موقف كامو من الوجود الإنساني من خلال بطل الرواية " الطبيب ريو " الذي لا يرضى بالاستسلام لقدره المحتوم وإنما يختار طريق المقاومة حتى النهاية حتى وإن علم مسبقاً أن جميع مرضاه طريقهم حتماً هو الهلاك.

ويرى كامو " عندما يبارك الأسقف حكم الإعدام، يكون في رأى قد خرج عن دينه، وحتى عن إنسانيته"، أما سارتر يرى " إننا نعيش في عالم ملئ بالشر، ولهذا فإننا لا نستطيع أن نسيطر عليه إلا إذا كنا قساه ولوثنا أيدينا بالجريمة". وعلى الفور يعلن كامو انفصاله التام عن الشيوعية، فيرسل إليه سارتر برسالة من ضمنها " هناك أشياء كثيرة تربطنا وأخرى قليلة تفرق بيننا، ولكن هذه الأشياء القليلة بالغة الخطورة؛ بحيث أصبح من المستحيل أن نلتقي". وعندما توفي كامو قال عنه سارتر " إنه كان أحد أهم أخلاقي العصر الكبار " (يوسف، ٢٠٠٩، ٢٤٠). ويكمن حجر الزاوية في التعارض بين كامو وسارتر في تصور احترام الذات الإنسانية؛ فأما بالنسبة إلى الراديكالية السارترية، فقد كانت تقبل شرعية القتل، إيماناً بمبدأ (الغاية تبرر

الوسيلة). أما بالنسبة إلى " كامو " فهو لم يدخر جهداً طيلة حياته في المطالبة بإلغاء أحكام الإعدام، مناضلاً ضد كل من تسول له نفسه شرعنة عمليات القتل. ورغم أن أفكار " كامو " كانت أقل جاذبية، خلال هذه الفترة من نقيضها الراديكالية، إلا أن إنسانية " كامو " ستبقى إلى الأبد مرجعية مثالية للمنهجية السياسية " لا ضحية ولاجلاد " (وينوك، ٢٠١٥، ١٠٩). وعوداً على بدء، يعتبر "كامو" من الكتاب القلائل الذين التزموا خطأً فكرياً واحداً في مؤلفاتهم، ذلك أن كامو ظل طيلة حياته القصيرة يُضَمّن كتاباته محتوى يكاد يكون متجانساً محوره فكرتان هما: العبت والتمرد، الأمر الذي أدى بكثير من النقاد إلى ربط اسمه "كامو" بفلسفة العبت إلى حد إطلاق لقب (الفيلسوف العابت) عليه، وبعضهم الآخر يقرن اسمه بالتمرد ويسميه (الفيلسوف المتمرد). كما أطلق عليه البعض صفة الفيلسوف الوجودي، وحثهم في ذلك أن فكر " كامو " يحوي في ثناياه مفاهيم وقضايا هي من صميم الفلسفة الوجودية كالعبت أو اللامعقول والقلق والشعور بالموت، والتمرد، لكن كامو يرفض هذا اللقب رفضاً حاسماً (يحياتن، ١٩٨٤، ٢٧). وتقوم فلسفة " ألبير كامو " في الوجود على فكرتين جوهريتين هما: العبتية (*) والتمرد.

(*) العبتية " مدرسة أدبية فكرية تناقش حالة الصراع بين ميول الإنسان للبحث عن هدفه من الحياة وعدم قدرته على فعل ذلك، تدعى أن الإنسان ضائع لم يعد لسلوكه معنى في الحياة المعاصرة، لأنه فقد القدرة على رؤية الأشياء بحجمها الطبيعي نتيجة الرغبة في سيطرة الآلة على الحياة لتكون في خدمة الإنسان، حيث انقلب الأمر فأصبح الإنسان في خدمة الآلة "، وقد هيأت الحرب العالمية الثانية في أعقابها المناخ الاجتماعي المناسب لولادة الآراء العبتية وانتشارها وتطورها. وارتبطت العبتية بالعدمية، التي ظهرت في القرن التاسع عشر، فقال " كامو " لست أكره إلا أولئك المتوحشين، وفي أحلك أعماق عدميتنا لم أكن أشد سوى الطريق لتجاوز العدمية " (فتيحة، ٢٠١٨، ٥-٧). وتتبلور أسس الفلسفة العبتية في:

- العبت والتمرد يسيران في خطين متوازيين.
- التمرد الحل الأخير للإنسان على السائد والمألوف للتغلب على عبتية العالم.
- الموت اليقين الوحيد (الحقيقة المطلقة).
- توظيف عبتية العالم للوصول لحياة فاضلة تحمل معنى حقيقياً.
- يجب على الإنسان أن يحيا الحياة بالقيم السامية التي لا غنى للإنسان عنها. وفي المقابل لم يكن " كامو " عبتياً مطلقاً.

ويتخذ من أسطورة سيزيف رمزاً لوضع الإنسان في الوجود. وسيزيف هو هذا الفتى الإغريقي الأسطوري الذي قدر عليه أن يصعد بصخرة إلى قمة الجبل، ولكنها ما تلبث أن تسقط متدرجة إلى السفح، فيضطر إلى اصعادها من جديد، وهكذا للأبد. ويرى " كامو " في تلك الأسطورة الإنسان الذي قدر عليه الشقاء بلا جدوى، وقدرت عليه الحياة بلا طائل، فبلجأ إلى الفرار إما إلى:

- ☒ موقف شوبنهاور، فطالما أن الحياة بلا معنى فلنقض عليها بالموت الإرادي (الانتحار).
- ☒ موقف الشاخصين بأبصارهم إلى حياة أعلى من الحياة، وهذا هو الانتحار الفلسفي ويقصد به الحركة التي ينكر الفكر نفسه ويحاول أن يتجاوز نفسه في نطاق ما يؤدي إلى نفيه.

✘ موقف التمرد على اللامعقول في الحياة مع بقائنا فيها غائصين في الأعماق ومعانقين للعدم، فإذا متنا متنا متمردين لا مستسلمين، وهذا التمرد هو الذي يضيء على الحياة قيمتها، "وليس أجمل من منظر الإنسان المعتر بكبريائه، المرهف الوعي بحياته وحرية وثورته" والذي يعيش زمانه في هذا الزمان: الزمان يحيى الزمان" (ويكيبيديا، كامو).

٥. الافتراضات الأساسية لمفهوم تربية ثقافة المقاومة عند كامو

➤ كامو والطبيعة الإنسانية

تتلخص فلسفة " كامو " في تساؤل واحد ألا وهو: " كيف يمكن للإنسان أن يحيا حياة حقيقية بعيدة كل البعد عن الأمل الموهوم، واليأس المدمر؟ فالإنسان يقطن بين عوالم متضادة من صنعه أحياناً ومن صنع الثقافة والتاريخ أحياناً أخرى، فهو يقع بين النفس والمجتمع، بين الله والعالم وبين الأمل واليأس وبين الفكر والواقع، وبين المستقبل والآن، وبين الحياة والموت". هذا المسكن هو الذي يشعر الإنسان بسقوطه المستمر في الهاوية فتتفتح الاحتمالات حول نتيجة هذا السقوط: الانتحار الجسدي أو الانتحار الفلسفي، أو الحرية المطلقة العدمية، هذه الهاوية التي يسقط فيها الإنسان، هي التي صاغت فلسفة كامو.

➤ مشكلة الحياة بين الجدوى واللا جدوى في فلسفة كامو

تعتبر مشكلة الحياة من المشاكل والقضايا الجوهرية التي أوردها " كامو " من خلال أفكاره وآراءه، كما أشاد بها كثيراً تساؤله إذا كان للحياة معنى وقيمة؟ وهل هذه الحياة تستحق أن تعاش؟ وبدا " كامو " وكأنه متخصص في علم النفس والأخلاق بمقولته السابقة " كثر هم الذين يسألون هذا السؤال، والأكثر من يجيب بالنفي. ويتولد شعور العبث لدى كامو أن الحياة من دون هدف، وهي مجرد روتين يومي وأعمال متكررة، الأشياء والمواعيد ذاتها، كثيرة هي الأشياء التي تسير وفق إيقاع واحد، بذلك تولد شعوراً بالعدائية تجاه العالم الذي يعيش فيه.

ويقول " كامو " إن العبث لا يحرر الإنسان بل يقيد، ولكن التمرد والمقاومة – الجانب الآخر لفلسفة كامو – هو الذي يحقق للحياة قيمتها وعظمتها لأنه يحرض التفكير" (الخطيب، ٢٠١٨، ١٨٩). وبالعودة لأسطورة سيزيف يتحدث "كامو" في أول الأمر بالتساؤل عن معنى الحياة؛ فبيداً بالحديث عن الشك من خلال التساؤل إذا كان للحياة معنى أم لا؟ للإنسان أن يبدأ البناء منها.. إذن فالشك عند " كامو " يبدأ من معنى الحياة: هل للحياة معنى أم لا ؟

وبإزاء هذا الأمر يقرر كامو نتيجته النهائية وموقفه من الحياة، والنقطة المهمة التي يؤكد فيها هذه التجربة هي " الوعي والإدراك ". أي أن كامو يؤكد من خلال موقفه من الحياة على عاملين رئيسيين هما: الوعي والإدراك، حيث أكد " كامو " على أن " العبث شيئاً موجوداً يصادف الإنسان في كل لحظة من لحظات حياته، إلا أنه ليس بإمكانه أن يقف على ذلك الأمر من دون أن يكون واعياً به ومدركاً له وفي هذا الوعي تكمن السعادة " (الذهبي، ٢٠١٥، ٤٩). وينتهي " كامو " بعد أن أقر بأن كل ما في الوجود عبث. ومن أجل هذا يقبل وضع المسألة: فبعد أن كان السؤال عما إذا كان لا بد أن يكون للحياة معنى حتى يحييها الإنسان، أصبح: كلما خلت الحياة من المعنى كانت أخلق أن يحييها الإنسان، كذا يجب على الإنسان أن يقر

بأن الحياة خالية من المعنى، ثم كيف موقفه منها تبعاً لذلك " (الخطيب، ٢٠١٨، ١٨٩).
وجسد " كامو " مشكلة الحياة في العديد من أعماله الأدبية والفلسفية، كما في أسطورة سيزيف الذي ورغم شعوره بالعبث، إلا أنه قرر أن يتمسك بالحياة ويرفض الموت ". فإذا كانت هذه الأسطورة تضم مأساة الإنسان في الوجود، فذلك لأن بطلها مُدرك، إذ أين سيكون عذابه، حقا إذا كان الأمل في النجاح يرفعه في كل خطوة (كامو، د.ت، ١٤٠)؛ فسيذيف لم يبأس بل تمسك بالحياة ورفض أن يموت فقام بحمل الحجر في كل مرة، وهذا يدل على التمسك بالحياة ورفض الفناء والاستسلام، حيث يقول " كامو " في هذا الوضع " وحين تتشبث صورة الأرض بشدة الذاكرة، وحين يشتد الحاح نداء السعادة.. وهذا هو انتصار الصخرة. هذه هي الصخرة ذاتها " (كامو، د.ت، ١٤١). هذه هي الحياة من وجهة نظر كامو، شقاء أبدى غير مبرر، لهذا كان يقول " أنا لا أبغض العالم الذي أعيش فيه ولكني أشعر بأنني متضامن مع الذين يتعذبون فيه إن مهمتي ليست أن أغير العالم فأنا لم أعط من الفضائل ما يسمح لي ببلوغ هذه الغاية، ولكني أحاول أن أدافع عن بعض القيم التي بدونها تصبح الحياة غير جديرة بأن نحياها ويصبح الإنسان غير جدير بالاحترام" (ويكيبيديا، ألبير كامو) كما جسد كامو أيضاً مشكلة الحياة في روايته " الطاعون "، فأخذ من شخصية الدكتور " ريو " نموذج عن أسطورة سيزيف، فريو رغم انتشار الوباء فإن في ذلك العبث لم يبأس، بل قاومه وتحداه بكل شجاعة. فتلك الرواية - الطاعون - يتبين أن سكان منطقة وهران بالجزائر لم يستسلموا لذلك المحال، بل قاوموه من خلال صبرهم ومحبتهم وشجاعتهم وتضامنهم و اتحادهم لمقاومة هذا المرض.
وفكرة العبث عند " كامو " لم تكن مجرد صورة خيالية أو وليدة الصدفة فهو لم يسطنعا وإنما هي وليدة احتكاكه مع مجتمعه وحياته الشخصية من خلال تأثره بالاغتراب، والمرض وتراجع القيم الأخلاقية، خاصة بعد انتشار الأنظمة الاستبدادية التي جعلت البشرية تعيش الألم والمعاناة، وكان هدف " كامو " الدعوة إلى ضرورة التحرر والتخلص من العبث وكل ما يعيق استمرار البشرية بالتمرد والمقاومة والثورة لأن الإنسان بطبعه محب للحياة ومتعلق بها.
وخلاصة فلسفة " كامو " في عبثية الوجود، أن العبث هو " ذلك الصراع بين الذي يحاول أن يفهم والعالم الذي يصمت ولا يجيب. ويكمن الصراع في مواجهة أحدهما للآخر. ويضع هذا الصراع الإنسان أمام خيارين":

☒ خيار سلبي: يفضل الإنسان الفرار والاستسلام الذي هو وليد اللاتفكير واللامبالاة، أو يفضل الانتحار اعترافاً منه بأن الحياة لا تستحق ذلك العناء.

☒ خيار إيجابي وهو المقاومة والتمرد، حيث يرى " كامو " أن البديهية الوحيدة التي توجد في صميم التجربة العبثية هي " التمرد ". وفي ذلك التمرد تتجلى إرادة الإنسان الذي يحاول أن يجعل للحياة معنى، مع علمه أنها لا معنى لها وذلك يستلزم أن يكون لدى الإنسان القدر اللازم من الوعي والإرادة.

وقد عالج " كامو " العبث في رسالته الفلسفية " أسطورة سيزيف " ثم عاد وصوره روائياً في " الغريب " ودرامياً في مسرحية " كاليجولا".

➤ الخروج من دائرة العبث: بالتمرد والمقاومة

لم يكن كامو عبثياً مطلقاً، وإنما وضع خيطاً رفيعاً من الأمل والتفاؤل.. ولع" البير كامو " بالحياة والحرية كان خلف دعوته إلى التمرد في سبيل أن يحقق الإنسان مقومات حياة جديدة بأن تعاش (يوسف، ٢٠٠٩، ٢٣٠).

➤ التمرد وسماته في أدبيات " كامو "

يطرح " كامو " هذا التساؤل بشكل مباشر في كتابه " الإنسان المتمرد L'Homme من هو الإنسان المتمرد؟ إنه إنسان يقول "لا"، ولئن رفض لا يتخلى " (كامو، ١٩٨٣، ٩-١٨). ويبحث كامو في كتابه هذا عن إنسان شجاع مقاوم ينظر إلى العالم وجهاً لوجه، ويدرك طبيعة ذلك الديالكتيك الأبدي بين حب العالم واليأس منه، إنساناً لديه شجاعة الرفض الممتزجة مع حب الحياة والبقاء فيها، إنه " الإنسان المتمرد ". وهنا نصل مع " كامو " إلى المقولة الرئيسة في فلسفته وهي " التمرد والمقاومة " فالحياة وفقاً لتجربة العبث لا معنى لها سوى التمرد المتصل الذي يكمن في مواجهة الإنسان لظلمه ". وما أراده " كامو أن ينطلق بنا في أغلبية أعماله الأدبية إلى مرحلة التمرد الحقيقي أو التمرد الإيجابي: ما طبيعة ذلك التمرد الإيجابي؟ فيجيب " كامو " إنه قدرة الإنسان على أن يقول " لا " لكن هذه " اللا " تحمل بداخلها العديد من المعاني والمضامين الفكرية والتربوية "أبرزها (كامو، ١٩٨٣، ١٨-٢٠)

➤ هذه " اللا " تؤكد وجود الحد: تعنى أن هناك أموراً استمرت أكثر مما ينبغي، وربما كانت هذه الأمور مقبولة، ولكنها وصلت الآن إلى الحد الذي يجب ألا تتخطاه.

➤ هذه " اللا " تنشأ نتيجة قدرة وفاعلية زاخرة، إنها القدرة على الرفض، فالإنسان الكائن الوحيد الذي يرفض أن يكون ما هو عليه ويطمح بأن يكون شيئاً غير ما هو عليه، والمتمرد هنا يعلن رفضه لكل القوى المتحكمة فيه، وهذا الرفض يتضمن في داخله الإقرار والإيمان بحريته، هذه القدرة وتلك الإرادة هي التي تجعله ينادى " إما أن نكون كل شيء أولاً شيء".

➤ هذه " اللا " تصدر عن إنسان واعٍ، مدرك لحقوقه: فالمتمرد يكون لديه وعى بأن له الحق في.. "، " وأنه يستحق أن.. "، إنه يشعر بأنه إنسان يبسط حقه ليحد من حق إنسان آخر، وقد يكون قبل ذلك سابقاً، وذلك لأنه لم يكن مدركاً لحقه، إن هذا الإدراك وهذه اللحظة لن تتوفر إلا إذا شعر الإنسان بحريته.

➤ هذه " اللا " تتضمن قدرة الإنسان على إصدار حكم: إذ إن حالة اليأس وتجربة العبث يتشابهان في أن الإنسان في كليهما يتخذ من الصمت مظهراً ليعبر به عن هذه الحالة، فهو يحكم على كل شيء ويرغب في كل شيء بشكل عام، ولا يحكم على أي شيء ولا يرغب في أي شيء بشكل خاص، ولكنه ما أن ينطق ويقول " لا " فهو هنا يقابل بين ما هو مفضل وغير مفضل، إنه أصبح قادراً على إصدار حكم، حتى لو استند فيه ليقين مبهم بوجود حق ما، وهنا يمكن أن نقول إن كل حركة تمرد تستدعي ضمناً وجود قيمة.

➤ أما عن سمات التمرد أبرزها (كامو، ١٩٨٣، ١٦-٢٩/ بتصرف)

- ١- ينشأ التمرد من مشهد انعدام المنطق أمام وضع جائر، ويشبهه " كامو " بالوثبة ينادى فيها المتمرّد بأن إعلانه التمرد هو " الخير الأسمى " الذي يفضلّه على كل شيء حتى على حياته.
- ٢- التمرد يضع العالم كل لحظة في موضع التساؤل لكي يزداد الإنسان امتلاكاً وإحساساً به ويبسط ذراعيه على التجربة بأكملها، وليس الهدف من هذا التساؤل هو إنكار العالم أو نفيه.
- ٣- التمرد يعنى المجابهة أو المواجهة: فالإنسان الذي ألف تلقى الأوامر طيلة حياته، نراه يقف فجأة موقف المجابهة أمام أي أمر غاشم صادر إليه، ليس ذلك فحسب، بل إنه قد يؤثر أن يموت عزيزاً ورافع الرأس عن أن يعيش خاضعاً وخائفاً مرة أخرى.
- ٤- التمرد يجعل الإنسان في توتر دائم: فالإنسان المتمرّد هو إنسان يشعر بالحرية والمسئولية، وهذه الحرية تورث الفلق. وهذا الفلق هو الذي يملأ صاحبه بالحياة.
- ٥- التمرد يعنى وجود طبيعة بشرية: وتظهر هذه الطبيعة حين يتمرّد الإنسان. فلماذا يثور الإنسان لو لم يكن هناك في ذاته شيئاً يحاول أن يحافظ عليه، و هو قدرته على التمرد، ورغبته في أن يكون غير ما هو عليه، إن التمرد هو أحد أبعاد الإنسان الأساسية إنه حقيقتنا التاريخية.
- ٦- التمرد هو انتقال من المأمول إلى المفروض: فكرة تتقل الفرد من مرحلة " كان يجب أن يتحقق ذلك " إلى مرحلة " أريد أن يتحقق ذلك " انتقال من مرحلة التمني إلى مرحلة العمل والفعل.
- ٧- التمرد علاقة دياكتيكية " مفارقة ":
- أ- يجمع فيها بين السلب والإيجاب، حب العالم واليأس منه، إنه محاولة تتجلى فيها إرادة الإنسان أن يجعل للحياة معنى رغم علمه أن لا معنى لها.
- ب- التمرد يجمع بين " النعم " و" اللآ " في الوقت نفسه، فالتمرد يقول " لا " لأي أمر غاشم ومبالغ فيه، ويعلن أنه لم يعد يحتمل ذلك . وفي الوقت نفسه يقول " نعم " للتأكيد على أن شيئاً ما لا بد أن يؤخذ بعين الاعتبار.
- ت- التمرد بين السلبية والإيجابية: التمرد يبدو سلبياً لأنه لا يخلق شيئاً، فهو مجرد رفض للأوضاع القائمة، ولكنه في الوقت نفسه إيجابي جداً لأنه يكشف لنا عما يستحق الدفاع عنه دائماً.
- ث- التمرد يجمع في داخله بين الآناء والآخر: ويظهر ذلك الجمع في أكثر من موضع:
- ✓ المتمرّد في تمردّه لا يدافع عما لا يملك أو حرم عليه، إنه يهدف أيضاً إلى دفع الآخرين بالاعتراف بشيء ما، سبق هو واعترف به، فالتمرد يصارع الكائن ويساعده على تجاوز ذاته.
- ✓ ينشأ التمرد أحياناً ليس لأن شخصاً ما تعرض للظلم، ولكنه ينشأ أيضاً من مشاهدة الظلم الواقع على الآخرين، فهو يشعر أن الإهانة موجهة إليه أيضاً، ومعنى هذا أن الإنسان المتمرّد يجاوز ذاته وأنانيته تجاه الآخرين، وفيه نوع من التضامن البشري.
- ✓ على الرغم من أن التمرد ينشأ من صميم فردية الإنسان، ويثير التساؤل حول مفهوم الفرد بالذات، فالفرد إذن قبل الموت، وافق أن يضحي بذاته في سبيل خير ما أو قيمة ما؛ فهو بذلك يتصرف باسم هذه القيمة مهما كانت مبهمّة، ولكنه يشعر على الأقل إنها قيمة مشتركة بينه وبين الناس جميعاً.

✓ ويصبح التمرد مثله مثل " الكوجيتو " البديهية الأولى التي تنشئ الفرد من عزلته ، وها هو " ألبير كامو " في مطلع كتابه " الإنسان المتمرد يعلن عن كوجيتو جديد، يصرخ فيه بأعلى صوته " أنا أتمرد .. إذن نحن موجودون ". وعالج "كامو" التمرد في رسالته الفلسفية " الإنسان المتمرد " ثم يعود ويصوره روائياً في " الطاعون " ودرامياً في مسرحية " العادلون " .

٦. أخلاق المقاومة عند كامو التي تكتسب بالتربية / كامو وفلسفة القيم الممكنة

بدأ " كامو " في أعمال الأدبية والفلسفية مدافعاً عن القيم الإنسانية، وأصبح على خلاف تام مع الوجوديين والماركسيين، وقد أصيب بخيبة كبيرة لفشل المدنية المعاصرة في معالجة القضايا الأخلاقية الكبرى، وكان على الدوام يحاول أن يجد قيماً ذات شأن في عالم وجده خالياً من المعنى (خضر، ٢٠١٦، ١٩٠).

وحسب كاليجولا (*) لا يوجد في الكون فرق بين الجريمة والفضيلة بين الشر والخير، بين الجنون والعقل، بين الحياة والموت.. نظراً لغياب القيم " (كامو، 2017، ١٠٠). وتبدأ أخلاق " كامو " في المقاومة والتمرد من الفرد ولكنها تنتهي بشكل جماعي. ويتم هذا بطريقة واضحة على نمط معين بمجرد اتفاق الناس على مواجهة العالم ومحاربة الشر ومقاومة العبث. فنحن أعداء العالم وتأخذ عدواننا مظهر المعارضة، وباجتماعنا حول هذا الشعور ترسم على أفعالنا معالم التجمهر والتعاون وينتهي الفرد لتبدأ الجماعة. وبذلك يتحول " كامو " من الأخلاق الفردية إلى الأخلاق الجماعية (الديدى، ١٩٨٥، ١٥١). إن هذا الانتقال يؤكد قيمة الوعي، لأنه لا انتقال إلا بالوعي، ولا وعى بدون قيم، بذلك فالعبث (المحال) لا ينفي القيمة بل يؤكد مجموعة من القيم، والشعار السلوكي المتسق مع فلسفة " كامو " هو الذي يقول " عش كما لو.. " الذي يبرز أخلاقاً جديدة وهي أخلاق الكم التي تُعلى من شأن الحياة فوق كل شيء سواها. وأبرز تلك القيم الممكنة التي تدعم التمرد الإيجابي عند " كامو " ما يلي:

أ- قيمة الاعتدال (الحد)

إن القيمة الأولى التي ينادى بها التمرد هي قيمة الاعتدال ومبدأ الحد، فالتمرد الذي ينادى به كامو هو التمرد المعتدل، الذي يضع حدوداً يلتزم بها ولا يتجاوزها. وهذا ما أوضحه " كامو " في كتابه " الإنسان المتمرد " فالإنسان أينما يوجد، عليه أن يتمرد، ولكن على تمرده أن يحترم الحد الذي يكتنفه في ذاته، هذا الحد الذي عنده يشرع البشر بالوجود بتلاقيهم مع بعضهم بعضاً (كامو، ١٩٨٣، ٢٩). والتمرد الحقيقي الذي يعده كامو شرط الوجود، إنما يتجنب العنف والتطرف ويضع حداً يقف عنده يمنعه من القتل والعنف (مكاوي، ١٩٦٤، ١٤٢). وهذا ما أوضحه كامو في مسرحية (حالة طوارئ) بقوله " ليس ثمة عدالة ولكن ثمة حدود. كل من يزعمون أنهم طلقاء من القواعد وكذلك كل من يريدون أن يجعلوا لكل شيء قاعدة، كلا الطرفين على حد سواء قد جاوز الحد" (كامو، ٢٠٠٩، ١٥٢).

✚ (*) كاليجولا Caligula. عمل مسرحي صدر عام ١٩٤٧ لمؤلفها "كامو". بطل الرواية

امبراطور روماني كان يؤمن في بدء حياته بأن الفن والحكمة والدين عبارة عن أدوية شافية لآلام الإنسان وقدره التعيس. وذات يوم حيا ل وفاة أخته، يثور على هذا الفراق المحتوم

والنهائي بصرح قائلاً: " إن الأشياء كما تتراءى لي ليست مرضية لم أكن أعرف ذلك من قبل، ولكنني الآن أدركت.. أن هذا العالم لا يطاق " (كامو، ٢٠١٧، ٢٣).

ويؤكد كامو وجود حد يجب على الظالم أن يقف عنده ويكف عن ممارسة الاستبداد والاستغلال، يقول كامو: في الحد، سيتقبل المرء فكرة الموت. ويجعلها متأرجحة وهو ما يطلق عليه على سبيل المثال، الحرية. ويقول "كامو" " لو أمكن للتمرد أن يبني فلسفة، لكانت فلسفة حدود " (كامو، ١٩٨٣، ٣٥٨). وهو ما أكده " كامو " في عمله الدرامي " العادلون " " فمن لا يعرف كل شيء لا يجب أن يقتل كل شيء ". ويجد الحد أصله في التمرد من احترامه للطبيعة الإنسانية وتعظيمه لكرامة الإنسان، والتزامه بالتمرد الأصيل ومنعه من الوقوع في أخطار الثورات التي اعتمدت العنف وتجاوزت الحدود، وبالتالي انحرفت عن التمرد المعتدل الأصيل، ولهذا يطالب " كامو " الثورات التاريخية بأن تضع لنفسها حدوداً أخلاقية تقف عندها وهذا ما عبر عنه " كامو " " إن الثورة بلا حدود سوى الفعالية التاريخية، معناها العبودية بلا حدود. للخلاص من هذا المصير، يتحتم على الفكر الثوري إذن، إذا أراد أن يظل حياً، أن يتنشط في منابع التمرد، وأن يستلهم إذن الفكرة الوحيدة الأمانة لهذا الأصل، وتعنى فكرة الحدود" (كامو، ١٩٨٣، ٣٦٤). ومن المؤكد أن، روح " الاعتدال " التي يدعو إليها " كامو " لو كانت ممكنة في عصرنا الحالي - لكانت بالفعل شيئاً يستحق الإعجاب، غير أن التجارب العملية للثورات الحديثة أثبتت أن هذا " الاعتدال " مستحيل التحقيق في كثير من الأحيان.

ب- قيمة الوعي

إن الوعي عند " كامو " هو وعى يحمل قيمة سلبية، لأنه لا يكتفى بما يقدمه الجسد والإحساسات فقط، ولا يرقى إلى قيم التضامن. فلو تساءلنا عن سعادة سيزيف رغم يأسه في الخروج من قدره ومصيره الذي قدر له أن يقبع فيه إلى أن يأتي محال المحالات جميعاً الموت. فإن "كامو" يؤكد سعادته لأنه يعي مصيره وأن هذا الوعي يكفي " لست أريد الآن أن أكون سعيداً، إن كل ما أريده أن أكون واعياً " (كامو، د.ت، ٣٤)، (مكاوي، ١٩٦٤، ٤٤).

ولكن حتماً يشعر سيزيف بالسعادة لوعيه بقدره. ويؤكد " كامو " أن الطبيب " ريو " بطل رواية "الطاعون"، يشارك سيزيف في هذا الوعي، إلا أنهما يختلفان في طبيعة الوعي، حيث " سيزيف " عنده الوعي الفردي بالمحال، أما " ريو " فقد تحول الوعي الفردي إلى الوعي الجماعي .

وبذلك فإن النقطة الفاصلة في فلسفة كامو، أن إنسان المحال معلق بين النعم واللا، وبين اليأس والأمل، بين الحياة والموت، بين المحال والتمرد عليه، أي بين المحال والوعي، فالوعي هو التمرد على المحال (مكاوي، ١٩٦٤، ١١٠). وبذلك يقوم العبث حسب - كامو - بإيقاظ الوعي الذي يركز كامو على دوره في تخطي لحظة العبث للانتقال إلى اللحظة الثانية، وهي التمرد والمقاومة الذي يتضمن تعالياً روحياً تحققه الذات، ويرفض فيه الفرد المصير الإنساني الذي كتب فيه العناء على الإنسان، والقوة التي تسبب له الشقاء والتعاسة.

ت - قيمة العدالة والحرية

تؤكد قيمة الاعتدال التي ينادى بها التمرد على أهمية قيمتي العدالة والحرية ونسبتهما. ويرفض كلاً من فكرة العدالة المطلقة والحرية المطلقة، لأن الحرية النسبية تضمن تحقيق التضامن والمشاركة، وهي التي تعبر عن العدالة كأمر واقعي لا بد من تحقيقه. فكلًا من العدالة والحرية النسبيتين تعملان على المحافظة على التمرد، وكلًا منهما يؤدي في النهاية إلى الآخر (كروكشانك، 1986، ١٥٣-١٥٦). ولعل سبب رفض التمرد المعتدل للعدالة المطلقة هو أنها تؤدي إلى تشيئ الإنسان، أما الحرية المطلقة فمن شأنها تأليهه، وهذان الطرفان يرفضهما التمرد المعتدل. ويقول " كامو " أما التمرد فلا يسعى إلا إلى النسبي ولا يسعه أن يعد إلا بكرامة مؤكدة ومقرونة بعدالة نسبية. إنه يتحزب لحد يستقر عنده وحده البشر، عالمه عالم نسبي (كامو، ١٩٨٣، ٣٥٦-٣٥٩). إن العدالة التي يطالب كامو بها ليست عدالة مطلقة، إنما يطالب بالعدالة النسبية التي تحترم الحرية وتعمل على صيانتها ونشرها عن طريق المشاركة والتضامن، وكذلك ترتبط الحرية بالعدالة، تلك الحرية التي يطالب بها " كامو " بأن لا تكون مطلقة، لأنها لو كانت مطلقة لأدت إلى الظلم والطغيان والقضاء على الحرية، وهي التي تسوغ حكم القوى واستبداده وتدفع إلى النزاع والطغيان، ولذلك يرى " كامو " أنه يجب تحقيق الصلة الفعالة بين العدالة والحرية النسبيتين، فلا عدالة بلا حرية، ولا حرية بلا عدالة وكلتاهما تؤدي إلى الآخر، وهذا يضيف عليهما صفة الإنسانية، فإذا أهملت إحداهما انتفى وجود الأخرى (كروكشانك، ١٩٨٦، ١٦٩). وهذا ما أوضحه كامو بقوله " فالحرية المطلقة تهزأ بالعدالة. والعدالة المطلقة تنكر الحرية، وحتى يعطى هذان المفهومان أكلهما، ينبغي لهما أن يجد أحدهما الواحد في الآخر. ما في إنسان يعتبر وضعه حرًا إذا لم يكن هذا الوضع عادلاً في الوقت نفسه، ولا عادلاً إذا لم يكن حرًا " (كامو، ١٩٨٣، ٣٦٠). ومع ذلك لا يرمى " كامو " إلى المطالبة بحرية مثالية لأنه لا يعتقد أن الإنسان لن يصل إلى درجة التحرر الحقيقي الكامل الواقعي إن لم يتدرج في مراحل الحرية واحدة تلو الأخرى والتي لن تتحقق بجهد الفرد إنما بتواصله وتضامنه مع بقية البشر، الأمر الذي يفضي إلى القيمة الثالثة هي التضامن البشري.

ث - قيمة التضامن البشري

اعتمد فعل التمرد على المطالبة بالقيم السامية التي تنتشل الإنسان من غربته ووحدته وانعزاله، إنها قيمة جماعية لا يتوانى الإنسان في التضحية بحياته في سبيلها، وهي قيم التضامن والمشاركة الإنسانية، وهي ليست قيمة فردية إنما كامنة في صميم البشرية وجسدها كامو في روايته (العادلون) والتي يضحى بطلها (كاليف ورفاقه) بأنفسهم لإثبات هذه القيمة المشتركة التي تتجاوز كل فرد وتتجاوز التمرد ذاته (كامو، ١٩٨٣، ١٥٧)، (كامو، ٢٠٢١، ٤٦). ويقول كامو على لسان أحد أبطال روايته (العادلون) " أما أنا فأحب الذين يعيشون على الأرض نفسها التي أعيش عليها الآن وهم الذين سأحبيهم، إنني من أجلهم أناضل، وفي سبيلهم ارتضيت بأن أموت " (كامو، ٢٠٢١، ٤٦). ولعل السبب في أن هذه القيمة جماعية وليست فردية، أنها لو كانت فردية ومتعلقة بفرد واحد لما ساهمت في انتشار الإنسان من عالم العبث

الذي نشأ نتيجة التقابل والانشقاق بين عنصرَي التجربة العنثية ، بين الإنسان الذي يرغب بالوحدة والوضوح ، وبين العالم المضطرب الممزق الصامت ، وربما تجمع هذه القيمة بين (الأنا) وال (نحن) ، بين الفرد والجماعة (مكايي ، ١٩٦٤ ، ١٥٣-١٥٤) .

وتصور رواية " الطاعون " ومسرحية " حالة طوارئ " لكامو " هذا الانتقال من الأنا إلى نحن ومن الفردية إلى التضامن، ومن التمرد المحال إلى التمرد المعتدل. هذا الانتقال لا يحدث إلا في الوعي والوجدان. وبذلك يتسع مجال الفكر من أسطورة سيزيف إلى التمرد ومن مشكلة الانتحار إلى مشكلة القتل الجماعي، ومن أخلاق الكم إلى أخلاق الكيف، ومن نزعة عدمية شاملة شعارها هو " كل شيء أولاً شيء " إلى نزعة تؤمن بالحد والمقياس. ومن تمرد طائش محال إلى تمرد معتدل وفي لمنبعه الأصيل (كامو، د.ت، ٣٧)، (مكايي، ١٩٦٤، ١٠٦).

■ الكوجيتو الكاموي مقابل الكوجيتو الديكارتى / (أنا أتمرد.. إذن نحن موجودون)

ويعبر الكوجيتو الكاموي عن قيمة التضامن التي تبنى على حركة التمرد " أنا أتمرد " وحدها فهي تعبر عن تمزق الإنسان، عن توتره الدائم وعذابه المتصل من المتناقضات التي يعيش فيها، والتي توظف الوعي. في التمرد يتحد المضطهد مع كل المضطهدين، ويتحقق الهوية التي تجمع بين الإنسان وأخيه الإنسان.. والتمرد كذلك تضامن ففيه يعلو الإنسان على نفسه، ويتجاوزها إلى الآخر. وفيه يعي الإنسان وجوده، كما يعي بوجود الآخرين، وعن طريق هذا الوعي يعرف تضامنه مع كل من يشاركونه في الإنسانية، وفي نفس الوجود، سواء توصلوا إلى ذلك الوعي أو لم يتوصلوا (كامو، د.ت، ٤١)، (مكايي، ١٩٦٤، ١١٤). وفي رواية " الطاعون " نجد الطبيب " ريو " وهو التعيس يحرص على سعادة الآخرين. إنه يفقد صديقه (تارو)، ويفقد زوجته التي كانت قد سافرت إلى سويسرا للاستشفاء، ويبقى إلى جانب مرضاه في (أوران)، على الرغم من الأنباء السيئة التي ترد إليه عن تدهور صحتها. إنه يقيم يأسه بين جنبيه ولا يقطع مع ذلك عن الأمل. وفي النهاية يعلم بموت زوجته، كما يعلم علم اليقين أنه لا سبيل إلى الانتصار على الوباء كل الانتصار. هل نستطيع أن نبرر هذا الإحساس العميق بالتضامن الذي يبلغ مبلغ التضحية بالسعادة الذاتية في سبيل اسعاد الآخرين إلى أن الطبيب (ريو) نفسه لم يعرف سبباً لهذا. ولعله يؤكد أن يكون هناك سبب على الإطلاق " ما من شيء في العالم يستحق أن يتخلى الإنسان عما يجب " (كامو، ١٩٨١، ١٣٢). وبذلك يكشف لنا التضامن عن وجود قيمة أخرى تؤكد قيمة الحياة والتضامن وتشتبك معهما في قيمة واحدة وهي: قيمة الوعي بالطبيعة الإنسانية التي اهتم بها " كامو " اهتماماً كبيراً.

ويقول " كامو " عن التضامن على لسان أحد أبطال روايته " الطاعون " "La peste" حين كان يشعر بالميل إلى مزج مساراته الخاصة بأصوات الألوف من المصابين بالطاعون، فقد كان يفقه دون ذلك تفكيره بأنه لم يكن ثمة ألم من هذه الآلام إلا وكان الجميع يتقاسمون، وأن عالماً يكون فيه الألم متوحداً غالب الأحيان هذا التوحد، هو عالم فاضل، من أجل هذا كان عليه أن يتكلم بإسم الجميع " (كامو، ١٩٨١، ٢٩٥). وليس معنى مطالبة بالتضامن في

تحقيق السعادة بين جميع الناس، فإنه لا ينفي الوجود المتفرد، أي لا ينكر على الإنسان حقه في أن يظل وحيداً، إذ يرى في ذلك سعادته وتحقيق وجوده.

وتتمحور الطبيعة الإنسانية في التفاعل بين وجدان الفرد ووجدان الجماعة لمواجهة خطر مشترك، يلعب الوعي دوراً كبيراً لتحقيق هذا التضامن، ولولا هذا الوعي بأهمية الآخر وبالخطر المحقق بالفرد والجماعة، وبالتالي الوعي بأهمية المشاركة لما استطاع التمرد إبراز أهمية هذه الميزة في الطبيعة البشرية. الأمر الذي يفضي إلى قيمة الوعي بالطبيعة الإنسانية.

ج- قيمة الوعي بالطبيعة الإنسانية

إن القيم الجديدة التي يحاول انسان المحال الدفاع عنها هي الوعي والحرية اللذان يكونان جوهر التمرد، إن كلمة المضطهد لمضطهده تعنى هذه العبارة " إذا كنت تراني على استعداد لأن أموت، فإن ذلك هو البرهان على أنني أؤكد على وجود قيمة تغلو على وجودي وبشترك فيها جميع الناس " إنها قيمة الوعي بالطبيعة الإنسانية. (مكاوي، ١٩٦٤، ١٠٨-١١١). وفي هذا السياق يؤكد مكاوي محلاً فلسفة كامو في هذا الإطار أن الديالكتيك بين النعم والملا هو أساس المحال، ولا نستطيع استبعاد أحد الطرفين. فالنفي المطلق يحطم ديالكتيك التمرد حين يمجّد أحد الطرفين (الملا) يستبعد الآخر (النعم) والنتيجة المباشرة لذلك هي الجريمة. فالذي ينفي كل شيء ينفي معه الطبيعة الإنسانية ويصل إلى الإيمان بأن كل شيء مباح. والذي يبيح كل شيء يبيح لنفسه كذلك أن يقتل الآخرين ويلغى وجود الوعي أثمن ما في الوجود، بل الوجود نفسه. إنه إلغاء هذه القيم جميعاً حتى يصبح انعدام القيم هي القيمة الوحيدة (كامو، د.ت، ٤٥)، (مكاوي، ١٩٦٤، ١٢٠). والطبيعة الإنسانية هي تلك القيمة التي تسبق كل فعل وتقدم بذلك السبب المبرر له. هذه القيمة التي يضحي الإنسان بحياته لكي يقيم الدليل على وجودها، كما فعل بطل رواية " العادلون " " كاليف ورفاقه ". فلو لم يكن الأمر كذلك لما استطاع المتمرد أن يضع نفسه فوق هذا العالم حين يضع هذه القيمة فوق ذاته. كما فعل القتلة الأبرياء " كاليف ورفاقه"، وهم على أعتاب المشانق ألا تدل هذه الطبيعة المشتركة بين الناس جميعاً على أن هناك معنى سامياً يغلو فوق الإنسان ويستطيع عن طريقه أن يتجاوز ذاته إلى الآخرين ويحقق ما يسميه المحدثون " بالوجود مع الغير " (كامو، د.ت، ٤٨)، (مكاوي، ١٩٦٤، ١٥٧). ولقد حاول " كامو " من خلال قيمتي التضامن والوعي بالطبيعة الإنسانية أن يدشن أخلاقاً تواصلية شبيهة بالتي ظهرت عند (هابرماس) يظهر فيها الانسان مستقلاً داخل الكل الاجتماعي. وهذا ما أوضحه كامو في روايته (الطاعون) التي تقوم أساساً على فكرة المشاركة والتضامن بين الناس الذين يعانون واقعاً مشتركاً في مدينة أصابها الوباء الذي نشر الموت والعذاب، وتطلب ذلك مساعدة الجميع للقضاء عليه، ويتساءل كامو عن علاقة العذاب والشقاء والتضامن؟ فالإحساس بالعذاب المشترك هو أهم الدوافع إلى التمرد، الذي لن يجدي إن كان فردياً فلا بد له من تضامن جميع البشر لتحقيق قيمه أساسية يسعى وراءها الفرد، ويطمح إليها كامو في فلسفته وهي السعادة (دولوبيه، د.ت، ٣١). وبذلك تصبح فلسفة كامو فلسفة الفكرة الواحدة، وهذا يتضح جداً في أن المحال هو التمرد، وليس طرفاً أمام طرف، كذلك التمرد هو الوعي، والوعي هو الحياة،

والحياة لا تكون حياة كريمة إلا من خلال الوعي بالطبيعة الإنسانية كقيمة، وتنبثق قيمة التضامن من خلال الوعي. وبذلك يكون منهج كامو منهج وصفى يصف حالة الصراع بين الوعي واللامعقول في الحياة، والثقافة والتاريخ، والطبيعة، والموت. كما ظهر في أنواع المحالات (التمرد كذلك يذيب المسافة الفاصلة بين الذات والموضوع، بين النعم واللا، حيث إن وجود الطرفين لا يعنى الديالكتيك بالضرورة (مكاوي، ١٩٦٤، ٢١٤).

وتأسيساً على ما سبق يتأكد دور التربية بمؤسساتها المختلفة في تشكيل أخلاق المقاومة. والتي اتضحت في فكر كامو كالتالي:

- المقاومة تفعيل للإرادة الإنسانية الحرة ضد إرادة إنسانية مستبدة.
- المقاومة ليست مجرد فكر وتأمل فقط، بل أيضاً فعل أخلاقي منوط بالإنسان، يتأكد في مسيرة تأكيده لذاته الحرة، تدعمه القيم الإنسانية التي أكد عليها كامو.
- المقاومة من أجل الحرية والعدالة ودعماً للقيم الإنسانية وليس للأطماع السياسية. وتلعب التربية دوراً في ترسيخ هذه الأخلاق، بامتلاك إرادة المقاومة، واكتشاف العقبات التي تحول دون الحرية والالتزام والمسئولية ومحاولة تدليل تلك العقبات أم الناشئة.
- أما الافتراضات الأساسية التي ينطلق منها كامو لتعزيز ثقافة المقاومة: (الأفراد هم من يصنعون الأحداث، الإيمان بقدرات الانسان الغير محدودة على التغيير ومقاومة أوضاع الواقع، وعى الانسان بحدود حريته وطبيعة دوره في هذا الوجود، امتلاك الانسان القدرة على الاختيار الحر والمسئول، امتلاك الفرد إرادة الفعل والعقل، التمرد والمقاومة يولد الوعي، التمرد والمقاومة تولد قيما إنسانية، الحرية والعدالة النسبيتين شرطا التمرد، بالتمرد يولد الأمل لدى الفرد والقدرة على المشاركة في التغيير).

ح- قيمة الحوار والتخاطب بين الناس

يضيف كامو فكرة هامة تعد عاملاً أساسياً للوصول إلى قيمة التضامن، ففي الحوار تتجلى الحركة الفكرية للمتخاورين فيعبر كل فرد عن آرائه التي تخدم الجماعة، وفيه تظهر الجدلية بين الرفض والتأييد، بين القبول والرد والرد عليه..، إنه يمثل العلاقة الأساسية في الحياة مع الغير، وتعبر عن وجوده ككائن اجتماعي ومن خلال الحديث الحر بين الأنا والأنت يبتعد الصراع والسيطرة والمنفعة، ويتحقق الوجود الحي، بحيث يحافظ الإنسان على ذاته وعلى نقائه وصفاء تمرده وبه تبرز قيمة التضامن (مكاوي، ١٩٦٤، ١٦٨). وفي هذا السياق يقول "كامو" "لا يمكن أن تعاش المشاركة والصلة الروحية اللتين أظهرهما التمرد، إلا في الحوار (كامو، ١٩٨٣، ٣٥). والصمت هو عدو التمرد الأول، والحوار هو أساسه، ولذلك يضع له "كامو" شروطاً وضوابط تحدد طريقة الحوار بين المتخاطبين، بأن يكون حراً هادفاً، ثم تظهر الجدلية بين الرفض والتأييد، بين القبول والرد تملؤه المحبة والتعاطف والتفاهم للوصول إلى فكر متضامن، لا مجموعة من الأحاديث العبيثية التي لا طائل منها والتي من شأنها أن تباعد بين الأفكار والبشر، لذلك يدعو "كامو" إلى نشر ثقافة الحوار القائم على احترام الفرد للآخر، لتحقيق الكوجيتو الديكارتى "أنا أفكر إذاً أنا موجود"، إذ انطلق ديكارت من الشك إلى أن انتهى إلى

اثبات حقيقة إنه يشك ومنها توصل إلى يقينه المطلق الذي صاغه في الكوجيتو الخاص به . أما " كامو " فقد بدأ مثله ولكن من تجربة العبث ليقارب تجربة الشك الديكارتية، ولكن ربما ليتعداه إلى رفض أي حقيقة يقينية بإثبات لا معنى الأشياء والوجود، ثم انتقل من خلال الوعي بعنصري التجربة العنثية (الإنسان - العالم) إلى مجال اليقين بحتمية التمرد، مما يجعل التشابه كبير بين الكوجيتو الكاموي والكوجيتو الديكارتى (كامو، ١٩٨٣، ٢٩). وفى هذا السياق يقول " كامو " وفى تجربتنا اليومية الخاصة، يقوم التمرد بنفس الدور الذي تقوم به الكوجيته (كوجيتو ديكارت.. أنا أفكر فأنا موجود) على صعيد الفكر: إنه البديهية الأولى، ولكن هذه الحقيقة البديهية الأولى تنتشل الفرد من عزلته. إنها محل مشترك يرسى القيمة الأولى على البشر جميعاً: أنا أتمرد. إذن نحن موجودون" (كامو، ١٩٨٣، ٢٩).

وبذلك نقل كامو الكوجيتو من المجال النظري المعرفي إلى مجال التطبيق والممارسة وصاغه صياغة فلسفية جديدة على الصياغات السابقة عليه؛ فالتمرد يبدأ عنده من الفرد ثم يتطور ليأخذ شكلاً جماعياً، عندما تتفق الجماعة على معارضة الشر ورفض الظلم والقضاء على العبث، وهنا يتوقف الفرد لتأخذ الجماعة دورها، متخذين التعاون والتضامن شعاراً لالتحاقهم وبالتالي تتحول رغباتهم من رغبات فردية إلى رغبات انسانية، تسعى إلى نشر قيم مشتركة من عدالة واحترام للفكر والكرامة الإنسانية.. يتمكن الإنسان بوساطتها من محاربة الشر والعبث معتمدين على تضامنه مع بقية البشر.

٧. كامو وقضية الحرية كمرتكز لتربية وتعزيز ثقافة المقاومة

في أكتوبر (١٩٥١)، أصدر " كامو " كتابه " الانسان المتمرد، " الناشر "، وفيه أعطى صوتاً لـ " فلسفة الحرية ". لم تكن هذه الفلسفة نظاماً بحد ذاته، وإنما خليط مدمج من الأفكار الفلسفية والسياسية: كل انسان حر، ولكن الحرية بحد ذاتها نسبية، وعلى الفرد أن يقبل القيود والوسطية، و" المخاطر المحسوبة، والأهم من ذلك، أدان " كامو " العنف الثوري، ولا يمكن استخدام العنف إلا في الظروف القصوى، وعلى الرغم من تأييده لجهود الحرب الفرنسية، ولكن استخدام العنف الثوري لدفع التاريخ في الاتجاه الذي تريده إنما هو باختصار وهم واستبداد وخيانة لذاتك " (كامو، ٢٠١٠). ومع نشر " الانسان المتمرد أعلن كامو عن اشتراكية سلمية لن تلجأ للعنف الثوري، فقد كان مذهولاً من القمص التي تحدثت في الاتحاد السوفيتي " إنها لم تكن دولة شيوعيين متحدين يعيشون بحرية، بل دولة بلا حرية على الإطلاق " (كامو، ١٩٨٣، ١٨). وحول عنف الشيوعية كامو الى مسار مختلف تماماً، فقد كتب في " المتمرد ": " أخيراً، أنا اختار الحرية، لأنه وإن لم تتحقق العدالة فإن الحرية ستحافظ على قوة الاحتجاج ضد الظلم، وتبقى على التواصل مفتوحاً (كامو، ١٩٨٣، ٣٥٢).

والحرية التي يقصدها " كامو " ليست الحرية السائدة التي يسعى اليها العبيد، لأنه يريد حرية تعطى له من كائن أسمى " الحرية الوحيدة التي يعرضها هي " حرية العقل والفعل " ولكن كيف نحقق هذه الحرية؟ وكيف السبيل إليها؟ يقول كامو بأن " اللامعقول يحول دون الحرية الأبدية، لكنه لا يحول دون حرية العمل في نطاق الحياة، فالثورة توجب أن نصل بوعينا الى

أقصى مراتبه فشعورنا بالحياة والثورة والحرية بأكبر درجة من الإمكان يحقق الحياة على أكبر نحو ممكن". وفي كتاب "الإنسان المتمرد - الثائر" يتناول "كامو" تاريخ الثورة بكل صورها وأبعادها، ماورائيا وأدبيا، جاعلا منها عنوان الحياة الأبرز، فإذا كان "نينتسه" يعتبر الحياة هي القوة، ويراه "شوينهور" في الإرادة، "فكامو" يعتبر الحياة في التمرد والمقاومة من أجل "قيمة" أي باسم شيء ثابت يجب المحافظة عليه، وبدونه لا يكون للثورة معنى على الإطلاق. تلك هي القسمات الكبرى في وجودية "كامو"، وهي وجودية واعية ومسؤولة وطموحها يقيدها بمبدأ النضال لتقبل "لا معقولية الوجود بحرية الفعل وشرف العمل، ومقاومة الشر، فالإنسان إذا كان عاجزا عن إزالة الشر في هذا العالم، فإنه قادر بتحدياته وإرادته أن يخفف من وطأة الألم (بدوي، ١٩٨٠، ١٢٠-١٣٥).

ويضع "كامو" حدود وضوابط للحرية، قائلا على لسان أبطال أحد أعماله "حريتك تنتهي حيث تبدأ حريتي" عبر عنها "كامو" في مسرحية "كاليجولا" على لسان بطل المسرحية كاليجولا: "نحن أحرار على حساب شخص آخر".

كاليجولا: في بعض الأحيان، بينما نمارس حريتنا، نتجاوز الحدود الشخصية للتدخل في حرية الآخرين والحد منها"

هذا هو السبب في أن "كامو" لا يقترح البحث عن الحرية المطلقة التي يمكن أن تتحول إلى الفوضى، ولكنها تدعم الإحساس بالعدالة والنظام على أساس الضمير الفردي. ويقول "كامو" في هذا السياق "إن التمرد ليس بأي حال من الأحوال طلبا للحرية الكاملة، إنه يشكك على وجه التحديد في السلطة غير المحدودة التي تسمح بانتهاك الحدود المحرمة"، "فكرة وجود حد.. فكرة وجود حق ما" (كامو، ١٩٨٣، ١٨).

"الحرية المطلقة هي حق الهيمنة للأقوى، لذلك، فإنه يحتفظ بالصراعات لصالح الظلم، العدالة المطلقة تمر عبر قمع كل التناقضات: إنها تقضى على الحرية، الثورة من أجل العدالة، من أجل الحرية تنتهي بتأليبهم ضد بعضهم البعض".

كاليجولا: أخيرا، لم يبق عندى أساليب كثيرة للبرهان على أنى حر. لقد جرت العادة أن يصبح الناس أحرارا، على حساب حريات الآخرين، هذا أمر مهين، إلا أنه من طبيعة الأشياء (كامو، ٢٠١٧، ٢٢).

والحرية إذن، ليست مجرد السؤال عما نريد والسعي وراءه، بأي ثمن، الحرية هي سؤال أنفسنا عما نريد وكيف يمكننا تحقيقه من خلال احترام الآخرين. وتبقى القاعدة الذهبية للأخلاق "لا تفعل للآخرين ما لا تريد منهم أن يفعلوه بك. وعن أبرز أقوال "كامو" التي تعكس فلسفته في الوجود وقضايا الحرية والعدالة الإنسانية (ويكيبيديا، الموسوعة الحرة)، (camus, 1998)

"لم اتعلم الحرية من ماركس.. تعلمتها في الفقر"

"الحرية هي قيمة التاريخ الوحيدة والتي لا تفنى."

"الحرية سجن طالما أن هناك على وجه الأرض إنسانا واحدا مستعبدا".

" يجب على الانسان، لكي يكون، أن يتمرد، لكن يتوجب على تمرده أن يحترم الحد الذي يكتشفه في ذاته، وحيث يبدأ البشر من خلال انضمامهم لبعضهم البعض في الوجود ".
" الانسان المتمرد، رجل يقول " لا " لكن إذا رفض، فهو لا يستسلم: إنه أيضا انسان يقول نعم منذ حركته الأولى ".

" الانسان المتمرد هو الذي يرفض أن يكون ما هو عليه ".

" لا تكمن الحضارة في ارتفاع درجة الرفاهية، وإنما في الوعي المشترك لكامل الشعب، وهذا الوعي ليس رفاهية " (كامو، ١٩٨٣، ٣٥٩-٣٦٤).

➤ الإطار التحليلي للدراسة

➤ أبعاد تربية ثقافة المقاومة في أدبيات كامو

أسفر تحليل بعض أدبيات " ألبير كامو " التي تحمل مضمون فلسفته في الوجود والتي تدور حول فكرتين " العبث والتمرد " الكشف عن العديد من أبعاد تربية ثقافة المقاومة، والتي يمكن من خلالها بناء الانسان الحر المقاوم لكل ما يحول دون تأكيد ذاتيته وحرية. وأبرزها:

١. التربية من أجل تنمية وعي الانسان وادراكه بحدود حريته في اطار الوعي بالعالم وتحدياته ، جسد " كامو " الوعي في رواياته وكان في بعض رواياته يظهر في آخر حياة البطل ، أو أن البطل يكون واعيا من البداية ، فقد تختلف المواقف ويطول ظهور الوعي لكن ما يلبث إلى أن يظهر ، فقد تجسد الوعي بالعبث (المحال) أن كل شيء في هذا الوجود يخلو من المعنى والوضوح ويعجز الانسان عن الوصول الى هذا المعنى والوضوح لهذا الوجود الغامض المليء بالتناقضات ، فقد تجسد الوعي في رواية " الغريب " في نهاية حياة البطل " مورسو " ، فكل الأحداث التي مرت به سواء من وفاة أمه ودفنها إلا أنه لم يبال بذلك حتى عندما قتل الأعرابي ، وسجنه ومحاكمته كلها بلا جدوى وبقي في العبث " اللامعقول " وكان استيقاظ الوعي لديه بعد الحكم عليه بالإعدام . وبينما يتشبث " مورسو " بسعادة من هذا العالم، نجد القسيس يعده بسعادة أخرى في عالم آخر " (مكاوي، ١٩٦٤، ٩٦)، (كامو، ٢٠١٤، ٧). ويقول "مورسو":
وكأنما هذا الغضب العظيم قد خلصني من الألم، وأفرغني من الأمل إزاء هذا الليل المليء بالإشارات والنجوم، ولأول مرة أتفتح أمام لامبالاة العالم الحنون "، في رواية " كاليجولا " فقد تجسد الوعي بالمحال، حين أراد " كاليجولا " أن يدرك المستحيل ، أن يلمس القمر، حيث أراد تغيير نظام الأشياء، أراد كاليجولا أن يثبت حريته المطلقة لكنه لم يستطع إدراك المستحيل.

كاليجولا: لقد كنت أريد القمر

كاليجولا: لم أستطع الوصول اليه وامتلاكه (كامو، ٢٠١٧، ٢١-٢٣). هذا النمط من التربية يتطلب عدة إجراءات:

أ- نقد الواقع المفروض، ومقاومة كل ما يكرس لثقافة القهر.

حيث أن عملية بناء الانسان تدور في جوهرها حول تنمية الذات الإنسانية وإكسابها الوعي بطبيعة الدور المنوط بها ، ومقاومة كل ما يكرس لقهر الانسان ويعوق تحقيق هذا الوعي.

فيمثل وعى الانسان بطبيعة واقعه وتحدياته وتأملمه لأوضاع هذا الواقع ونقده يُعد جانبا مهما في عملية بناء الانسان، دون فقدان الأمل في تغيير هذا الواقع نحو الأفضل. ومن ثم لا بد من:

- ✗ التبصير بالواقع وما يسوده من صور اللامساواة والقهر الكامنة في المجتمع.
- ✗ علاقة هذا القهر وتلك اللامساواة بالمعاناة في الحياة اليومية.
- ✗ التبصير بالقوى المهيمنة المستفيدة من هذا الواقع الذي تعيد انتاجه.
- ✗ القضاء على ألفة الجماهير بالواقع السيئ وإكسابهم القدرة على مفارقة هذا الواقع وتخيل المثال وهو ما يسمح لهم بتصور واقع أفضل من الواقع المعاش.
- ✗ دعوة الجماهير إلى إعادة التفكير في كل الأوضاع المجتمعية السائدة.
- ✗ دعوة الجماهير الى التفكير في كيفية تأثير هذه الأوضاع على حقوقها ومصالحها الشخصية والاضرار بها.

- ✗ مساعدة الجماهير على التعرف على حقوقها المشروعة كاملة، ويقول " كامو " الانسان العادل هو من يقيس حقوقه بواجباته " (كامو، ١٩٨٣، ١٤٣).
- ✗ مساعدة الجماهير على تخيل الأوضاع المجتمعية البديلة في ظل الحصول على كامل حقوقها.

ويشير " كامو " في هذا السياق " ثمة وعى. مهما تكن درجة ابهامه ينشأ عن حركة التمرد والمقاومة: الإدراك فجأة بأن في الانسان شيئا يمكن أن يتوحد معه ذاتيا، ولو وقت قصير، حتى الآن، لم يكن يحس بهذا التوحد إحساسا فعليا. لقد تحمل الانسان كل التعسفات السابقة لحركة التمرد، بل كثيرا ما يقبل، دون تمرد، أوامر أقسى من الأمر الذي يثير الآن رفضه. لقد كان يلوذ بالصبر، وربما كان يدفن هذه الأوامر المتعسفة في أعماق ذاته، ولكنه - نظرا لصمته - كان مشغولا بمصلحته المباشرة أكبر من أن يكون شاغرا بحقه بعد. ومع نفاذ صبر الفرد وانعدامه تبدأ، العكس حركة قد تمتد فتشمل كل ما كان مقبولا في السابق، فالشيء الذي كان في البدء مقاومة عنيدة من الانسان، أصبح الآن الانسان كله متوحداً في هذه المقاومة، وإذا به يرتدى دفعة واحدة (بما أن الأمر هكذا ...) في وضع جديد (كل شيء أو لا شيء".

" إن الشعور (الوعي) يولد مع التمرد "

" فالتمرد يؤثر أن يموت عزيزاً رافع الرأس على أن يعيش عيشة الهوان " (كامو، ١٩٨٣، ٢٠).

" وفي التمرد.. نجد انتقالاً من الواقع الى الحق، من المرغوب فيه الى المشتبه. إن الانتقال الى الحق واضح في التمرد، وكذلك الانتقال من " كان يجب أن يتحقق ذلك " إلى " أريد أن يتحقق ذلك ". و " لأن المتمرد المقاوم يضع الحق فوق ذاته؛ فإنه يتصرف إذن بإسم قيمة، لا تزال مبهمه، ولكنه يحس على الأقل أنها قيمة مشتركة بينه وبين الناس جميعا " (كامو، ١٩٨٣، ١١٨-٢١).

كما يشير " كامو في رواية " الطاعون " على لسان أبطالها حيث الكفاح ومقاومة قهر الوباء لسكان المدينة "وهران بالجزائر "الطبيب ريو: فهناك المرضى الذين يجب علينا علاجهم. وبعد ذلك سيكون لديهم - ولدى أنا أيضا - من الوقت ما يفكرون فيه، ولكن علاجهم هو المسألة العاجلة التي لا تحتل التأجيل إنني أدافع عنهم بقدر ما أستطيع.

الطبيب تاروا: انتصاراتكم ستكون دائما مؤقتة

الطبيب ريو: دائما، أعرف ذلك، ولكن ليس هناك سببا يبرر لنا أن نكف عن الكفاح تارو: نعم هذا ليس سببا، ولكنى حينئذ أتخيل ماذا يعنى هذا الطاعون بالنسبة لكم.

ريو: نعم، هزيمة على طول الخط.

تارو: من علمك كل هذا يا دكتور؟

ريو: البؤس.

وفى هذا الشأن يعبر "كامو" بأن التعود على اليأس أسوأ من اليأس نفسه " (كامو، ١٩٨١، ١٦٣ - ١٦٤). وبذلك تمحورت جهود "كامو" حول نشر ثقافة المقاومة لقهر المجتمع وتقاليدته كما فى روايته "الغريب" والذي ينطوي على تناقض وصراع بين قواه الاجتماعية، وأن القوى المسيطرة على المجتمع تحاول دائما فرض هيمنتها ومصالحها على بقية القوى الاجتماعية، وأيضا مقاومة قهر الوباء ومقاومة عبثية العالم حيث يسود الغموض وعدم الوضوح. وتتعدد المشاهد والتصورات التي أكد من خلالها "كامو" ضرورة مقاومة سلبيات الواقع كخطوة أساسية لتغيير هذا الواقع ومقاومة مسالبه، ويقول "كامو" "الطريقة الوحيدة للتعامل مع عالم غير حر هي أن تصبح حرا تماما مما يجعل وجودك فعل تمرد" (كامو، ١٩٨٣، ١٤٣-١٤٥). وإذا كانت التربية المعاصرة فى الغالب لا تفعل أكثر من إعادة انتاج مجتمع القهر، وصناعة الانسان الذي يشارك بيده فى قهر وإذلال ذاته واستعبادها. فإن ما قدمه "كامو" فى أدبياته يُعد محاولة جادة لنشر ثقافة المقاومة ضد مجتمع القهر برسمه صورة واقعية لما يعج به المجتمع من تناقضات وسلبيات، محاولا تعزيز ثقافة المقاومة وتنميتها فى وعى الأفراد من خلال شخوص أعماله الأدبية، فكل شخصية منها تجسد عبثية العالم والوجود، وكيفية التمرد والمقاومة ويعد تنمية وتعزيز الوعي آلية لبناء الانسان المقاوم الواعي لما يدور حوله من تناقضات، والقادر على مقاومة القهر. وبذلك مثلت ثقافة المقاومة أيديولوجيا قادها قادة التغيير من المفكرين والفلاسفة لمواجهة أيديولوجيا القهر التي تنتهجها القوى المهيمنة بتزييف وعى الجماهير لما يدور حولهم. وفى هذا الشأن تتجلى أهمية التربية النقدية، حيث تعد أولى خطوات التغيير تنمية الوعي النقدي للجماهير الذي يكشف زيف الواقع وتناقضاته، ويرفض الخضوع والاستسلام له ومن ثم تحاول تربية وتنشئة الأفراد فى ضوءه.

ب- امتلاك الوعي الناقد لمقاومة الواقع الزائف، ورفض الاستسلام

إن أولى خطوات التغيير الحقيقي هو امتلاك وعى نقدي يكشف عن زيف الواقع ويرفضه ويقاوم الواقع السلبي ويرفض الخضوع والاستسلام له. وتعرض "كامو" لهذا الوعي الناقد فى مسرحية "حالة طوارئ" (كناية عن النظم القمعية والسلطات الفاشية) وهي ليست كرواية "الطاعون" التي تحدثت عن الوباء. فى تلك المسرحية "حالة طوارئ" فرض الطاعون حالة حصار وواقعا طارئا على سكان مدينة قادش، الذين يحاولون النجاة والهروب، إلا أن بطش الحاكم الجديد المتمثل فى الطاعون تحول دون ذلك. وقبل استسلام سكان المدينة لواقع يطنون أنه لا فكاك منه؛ فظهر بطل المسرحية (دييجو) The state of siege معلنا التمرد والمقاومة، ومُعليا

قيمة التضحية في سبيل الحرية. وجاء بطل المسرحية رمزاً للثورة، واحداً من سكان المدينة الذين مسهم الوباء (القمع والظلم)، لكنه أدرك طريق الشفاء، وهو الثورة ورفض الظلم وإعلان العصيان ووأد الخوف (العجمي، ٢٠٢١، ١٢١٢-١٢١٥).

ويعلن (دييجو) " مواجهة الصمت المطبق على المدينة معلناً أنه ليس من العدالة ولا من الوطنية أن يكون الوضع بهذا السوء "، وينتصر (دييجو) في ضرب أعظم الأمثال لجموع الناس التي كانت قد فقدت الأمل في تنفس عبير الحرية، غير أنه دفع ثمن انتصاراته غالياً، فإما أن يعيش هو، أو تعيش فيكتوريا حبيبته، ويرسم " كامو " من خلال ذلك الاختيار صورة زاهية لكل الأبطال الذين يضربون أمثلة على البطولة والعظمة. يقف (دييجو) أمام خيار صعب إما هو أو المدينة، إما هو أو حبيبته واستمرار تدفق دماء الثورة " يفضل دييجو التضحية بنفسه قائلاً في افتتاحية المسرحية "إن العالم في حاجة إليك، إنه في حاجة إلى نساءنا لكي يُعلمن الناس الحياة " (حالة طوارئ، ٢٠٠٩) (*).

وبانتهاء المسرحية، يتأزم الموقف، ويعاني (دييجو) من المحنة الصعبة، لكنه في النهاية يثبت وطنيته وإخلاصه للمدينة، ويرفض الصفقة رفضاً حاسماً، ويواصل ثورته، حتى يلقى حتفه. غير أنه حياته لم تذهب هدرًا، إذ تنتقل الحيوية لفكتوريا حبيبته، التي تواصل ما بدأه دييجو، وتستمر الثورة، ويشند عزم الشعب ويزداد عدد المناضلين تحت لواء الثورة، ويعكس الكثيرون التضحية ورفض الاستسلام اقتداءً ببطلهم دييجو. ربما يبدو " كامو " أكثر واقعية حيث أراد أن يقول " لا يوجد انتصار كامل في الحياة حيث يصور نهاية بطله بشكل لا يشبه النهايات التقليدية، التي تحتفى بالبطل والبطلة.

و لم يهمل " كامو " التنويه الدائم بعناصر الثورة، والدعوة إليها. ويصل الى أهم ما نادى اليه في سبيل الثورة، إنه الفداء من أجل الخلاص، مخاطبا بطل المسرحية (دييجو) حبيبته فيكتوريا: العالم في حاجة إليك، إنه في حاجة الى نساءنا لكي يُعلمن الناس الحياة، أما نحن فقد كنا دائما غير قادرين إلا على الموت " (كامو، ٢٠٠٩، ٢٢)، وحين يواجه دييجو القاضي يعلن كل آراء الثورة كما يراها " كامو " مقاومة زيف الواقع، رفض الاستسلام، مقاومة قهر المجتمع والقوى المهيمنة. وفي هذا الشأن يعبر "كامو" على لسان دييجو عن قدرة الانسان على مقاومة اليأس ورفض الاستسلام، وهو يمثل خلاصة لرأى " كامو " في الحرية.

مسرحية حالة طوارئ: جسد فيها " كامو " عدة مشاعر إنسانية بعضها يهدم الانسان فلا تقوم له قائمة، وبعضها على العكس من ذلك، يبعث فيه الحياة ويسمو الى مصاف المعجزات. هذه المشاعر هي: الكراهية والخوف والأنانية في مقابل الحب والتضحية والفداء والمواطنة والانتماء. حيث تمكن الطاعون (المستبد) من السيطرة على مدينة " قادش " ببث الكراهية بين الناس، وكيف أن الأنانية تجعل الفرد يرفض إعطاء لقمة الخبز لأخيه الانسان، وكيف أن الخوف جعل "دييجو" بطل المسرحية يفقد صوابه ويهرب ولا يأبه بنشر العدوى لغيره عن طريقه، لولا أن ارتد إليه صوابه فيعود لإتمام رسالته (كامو، ٢٠٠٩، ١٠).

دييجو في حوار مع القاضي: في وسط أكبر انتصاراتكم البادية، أنتم قد هُزمتم لأن في الإنسان قوة لن تستطيعوا قهرها، هي جنون محض يتقاسمه الخوف والشجاعة معاً، إنها جاهلة ومنتصرة إلى الأبد. إن هذه القوة هي التي ستنهض وحينئذ ستعلم أن انتصارك لم يكن إلا دخانا". وبذلك يثبت (دييجو) على موقفه الثوري، ويعلن هزيمة الاستبداد ورفض الاستسلام، حتى لو بدا الواقع مغايراً.

الطاعون: أيها الأحقق إن عشر سنوات في حب هذه المرأة أفضل من قرن من الحرية لهؤلاء الناس.

دييجو: حب هذه المرأة هو مملكتي، أنا أستطيع أن أفعل بها ما أشاء حرية هؤلاء هي ملك لهم ولا أستطيع التصرف فيها.

الطاعون: قطع لا يشرح النفس في الحقيقة ولكن تبدو عليه القوة.

دييجو: زمن الأحرار.

الطاعون: إنك لتدهشني، عبثاً بحثت عن الأحرار، أين هم؟

دييجو: إما أحياء في سجونك، أو أموات في الحفر التي شققتها لتكديس الجثث، والعبيد هم الذين يتريعون فوق العروش.

الطاعون: اجعل رجالك الأحرار يرتدون زي الشرطة وستعرف ماذا يصبحون.

دييجو: صحيح، إنهم يحدث لهم أن يصبحوا جناء قساة، ولهذا لا حق لهم كما لاحق لك في التسلط. ما من رجل يتوافر له من الفضائل ما يبرر التسليم له بالسلطان المطلق، ولهذا أيضاً كان حق هؤلاء الرجال هو حقهم في الرحمة التي ستحرم أنت منها" (كامو، ٢٠٠٩، ١١١-١١٢).

وفى (حالة طوارئ)، نجد (دييجو) شبيهاً (بسيزيف)، لكن ديجو ينجح في الخلاص والوصول إلى مبتغاه وهدفه، ولو بالتضحية وتقديم نفسه فداءً لما آمن به وإليه دعا. أما الميثولوجيا الإغريقية (سيزيف) الذي كان عذابه أبدياً، ويرى فيه " كامو " الانسان الذي فُدر عليه الشقاء الأبدي (كامو، د.ت، ١٤٠-١٤٣). وهذا ما يؤكد فلسفة " كامو " القائمة على العتب والتمرد، حيث ذهب " كامو إلى أبعد من ذلك معتبراً "العبيثية والتمرد هما يضيفان على الحياة قيمتها " (كامو، د.ت، ١٤٠-١٤٣).

وعود على بدأ، يقول " كامو " في " أسطورة سيزيف " إن خطورة الذهن الأولى هي تمييز الصحيح من الزائف. وعلى كل حال فطالما يتأمل الفكر في نفسه، فإنه يكتشف التناقض أولاً " (كامو، د.ت، ٢٥). وهنا نجد الانسان الذي جسد الثورة والسعي نحو امتلاك مصيره ورفض الاستسلام في (حالة طوارئ)، هو نفسه (سيزيف) الذي عانى وجسد عبيثية العالم وعذاب البشرية الأبدي، كما عبر عنه " كامو " بقوله " الانسان ليس سوى مادة للتاريخ، ويمكن أن يفعل أي شيء به " (ادريس، ٢٠١٧، ٤). وفي حالة " طوارئ " يتطور الانسان في موقفه من العتب؛ فيعلن الرفض ومقاومة الاستسلام وينجح في الوصول للهدف عن طريق الخلاص والتضحية.

أما رواية (الطاعون) فيقوم بطل الرواية الطبيب (ريو) بصحبه صديقه الطبيب (تارو) بقيادة فريق للإصلاح البيئي في محاولة لإنقاذ مدينة وهران الجزائرية من الوباء الذي اجتاحتها، فيقومان مع الفرق التطوعية للحد من انتشار الطاعون. لكن كل الجهود لا تستطيع الحد من انتشار الموت والفرع. ويستمر الطاعون في حصد أرواح الجميع. لكن يظل الرجال على عزيمتهم لا يفقدون الإصرار وهمة المقاومة.

ومن ثم، تأتي أهمية تربية وتنمية وعى الإنسان من خلال منح نفسه قدر من الحرية في القبول أو الرفض. فهو ليس مخلوقاً سلبياً خالياً من الشعور أو العقل حتى يخضع لسيطرة القوى المهيمنة التي تزيف وعيه وإدراكه، مما يحجب عنه الحقيقة. وهنا تتجلى أهمية لتربية الوعي.

ت- إيقاظ المشاعر والبحث عن الحقيقة

وفى هذا السياق يعبر " كامو " في أسطورة (سيزيف) " أن كل شيء يبدأ بالإدراك"، ولا شئ يستحق أي اهتمام الا عبر الإدراك، وليس هنالك شئ في الأصالة في ملاحظاتي هذه، ولكنها واضحة وهذا يكفي الآن، إنها كشفت تخطيطي لأصول اللاجدوى " وأيضاً يقول " لا شئ هنالك قد تمت تجربته، وإنما ما عشناه وجعلناه مدركاً"، وأيضاً هنالك حقيقة بديهية أكد عليها كامو " هناك حقيقة واضحة وهي أن الانسان ضحية حقائقه - فإنه حين يُقر بها، لا يستطيع أن يحرر نفسه منها. وعلى المرء أن يدفع شيئاً. والانسان الذي يكون مدركاً لللاجدوى يرتبط بها الى الأبد، والانسان الخالي من الأمل، الذي يدرك أن كذلك لا يعود يمت للمستقبل بصلة وهذا طبيعي، ولكن من الطبيعي أيضاً أن يكافح ليتخلص من لامعقولية الكون " (كامو، د.ت، ٢٢، ٢٤، ٤٠-٤١). وحول هذا البعد تحدث " كامو " في خطاب السويد أثناء تسلمه لجائزة نوبل للآداب ١٠ ديسمبر ١٩٥٧ حيث قال " إن الحقيقة غامضة، وهاربة، وتبقى مثلاً أمامنا. والحرية خطرة، من الصعب عبثيتها بقدر ما هي مثيرة. وعلينا أن نسير نحو هذين الهدفين بعناء ولكن بيقين متأكدين بأننا ننتصر على عجزنا في طريق ما أطوله.. " (كامو، ٢٠١٠). ويؤكد " كامو " أن العبث لا ينشأ من الانسان ولا من العالم، إنما ينشأ من مواجهتها، فالعبث يتولد من التقابل بين رغبة الوعي في الفهم والوضوح، وبين هذا العالم المستعصي على الفهم، فيفصح العبث على عجز العقل عن إدراك الوجود " (كامو، د.ت، ٤٧) " ويقول " كامو " أيضاً " الحقائق الأولية هي آخر ما نكتشف طالما كان رخاء الشعب حجة الحكام المستبدين " أتمرد إذن نحن موجودون " (كامو، ١٩٨٣، ٣٥٩).

٢. تربية الإرادة الإنسانية والصمود ومقاومة كل ما يكرس عبودية الانسان

تمثل دعم الإرادة فرضية هامة في تعزيز ثقافة المقاومة؛ حيث يمكن لتربية ثقافة المقاومة من خلال عمليات نقد الواقع وتعميق وعى الأفراد بتناقضاته وسلبياته، لكن قد يظل اليأس والاستسلام مسيطراً عليهم في ذات الوقت " التمرد ملك للإنسان المطلع الشاعر بحقوقه، هذا ليس فقط المتضامن مع غيره " (كامو، ١٩٨٣، ٢٧)، لذا فهذا النمط من التربية يتطلب عدة إجراءات:

أ- بث الأمل في التغيير، ومقاومة الخوف

يُطلعنا " كامو " على أحد دعائم الاستبداد وهو " صناعة ثقافة الخوف " وزرعة في النفوس ، فالحاكم المستبد يزرع الخوف في شعبه كالمعلم الذي ينشئ أجيالا تنتسم بالجبن والخضوع والطاعة السلبية . فيرى الملك شعبه على الخوف الدائم المستمر، ويظهر ذلك جليا في رواية " كاليجولا " الإمبراطور المستبد الذي احتكر لنفسه الحرية المطلقة، ويظهر ذلك في أكثر من موضع في الرواية على لسان أبطالها:

كاليجولا: لا تتضرعوا، فدعواتكم قد سُمعت فهذا العالم بلا قيمة والذي أدرك ذلك يناضل من أجل حرية. ولهذا السبب بالضبط أنا أكرهكم، لأنكم لستم أحرارا، لكن لستم أنتم فقط، فلا أؤيد داخل الإمبراطورية الرومانية من هو حر سواي أنا. وفي موضع آخر كاليجولا: أريد أن أخلط السماء بالبحر، وأمزج القبح والجمال، وأصهر الضحكات لتذوب بين ثنايا الألم لتبدد المعاناة والأسى

سيزونيا: يوجد في هذا العالم الخير والشر، العظيم والحقير، العدل والظلم. ولن يتغير شيء من هذا أبداً وإن حاولت.

كاليجولا: إرادتي سوف تغيره. سوف أُنح هذه الحقبة المساواة. وعندما يصبح كل شيء مذللاً، سوف أمتلك حينها المستحيل على هذه الأرض. سوف أمسك القمر بيدي هاتين، وربما حينها أكون قد تحولت وتشكل الكون معي كما أريد رسمه. وفي موضع آخر من الرواية حيث التمرد ومقاومة الاستبداد ورفض الاستسلام لهذا الحاكم المستبد شيريا: إن هذا الأمر ليس بالسهولة التي تتخيلوها، يا أصدقائي: إن الخوف الذي أذاقه لكم وسكنكم لم يترك مكانا للبسالة أو الجسارة واليأس، فكل ما تشعرون به الآن ما هو إلا ثورة عابرة سابقة لأوانها.

النبيل الثالث: إذا، أنت لست معنا، انشق عن جمعنا

شيريا: ثقوا أني معكم قلبا وقالبا فليس ذلك لأجلكم بل سيكون من أجل مبادئكم ومنهجكم الذي تجمعتم وثرتم من أجله، ولكن يجب أولا أن تقدروا قدره وتضعوه في حجمه وألا تستهينوا به أبداً، وأن تحسبوا جيدا حساب بطشه وقوته الحقيقية.

النبيل الثالث: نحن نقدر بالفعل حجمه الحقيقي، إنه لأكثر الطغاة حماقة!

شيريا: ليس الموت ما أخشاه فأنا أمتلك الشجاعة ما يكفي لاحتمال مثل هذا الأمر. لكن ما لا يمكن احتمالها حقاً هو رؤية معنى الحياة الحقيقية يزول بزوال الحكمة من وجودنا على هذه الأرض. فلا يمكننا أن نعيش عبثاً دون حق. (كامو، ٢٠١٧، ٤٢، ٤٧، ٥٦-٥٨).

كما يطرح " كامو " بعبارات واضحة تؤكد خطورة الاستسلام للصور النمطية عن العجز الذاتي، والخوف، وعدم الثقة في القدرة على التحرر، عبر عنه في مسرحية (حالة طوارئ) على لسان (الطاعون): "إذا كان الظلم والجور والقسوة تدفع الناس الى التمرد، فإن الغباء يثبط العزائم، والرجال المتمردون، إذا ما أعيتهم رؤية الغباء منتصراً على الدوام، يسلمون أمرهم ويلوذون بالصمت " (كامو، ٢٠٠٩).

ومع الأسئلة التي يطرحها " كامو " في "حالة طوارئ"، يطرح كذلك مجموعة من القيم والمثل العليا التي بها تستمر الحياة ونواجه الخوف. فنجد القيم التي تبرز في حوارات المسرحية (إرادة الإنسان حين يهزم الخوف، وكيف أنه يتحول تلقائياً الى كائن لا يقهر، قادر على التصدي حتى للطاعون المخيف والمدمر، فيدور الحوار كالتالي:

السكرتيرة: هل ما زلت تحس الخوف؟

دييجو: لا

السكرتيرة: تقول له في جملة ذات دلالة: إذن فلست أملك شيئاً ضدك " (كامو، ٢٠٠٩، ٩٥). وفي كثير من أعمال " كامو " لجأ الى التاريخ، واستخرج رموزاً للطغيان، شخصها وأعاد إحياءها، منوهاً أن الاستبداد لا يتعلق بزمان ما أو مكان. ففي مسرحية " كاليجولا " نرى " كامو " يلجأ الى شخصيات مستبدة من التاريخ الإنساني ليستعين بها من أجل نشر أفكاره عن دعوته الى التكاثر الإنساني ومقاومة الخوف وبث الأمل. " فكامو يسعى لقول معتقداته من خلال أعماله، ويترك لشخصه مهمة حمل هذه الأفكار " (ادريس، ٢٠١٧، ٦٣). وبعد رواية " الطاعون " " لألبير كامو " يستمر مفتشاً عن شكل وماهية الخوف، باحثاً إجابة سؤال مهم: كيف يمكننا المواجهة؟ كيف يمكننا هزيمة الخوف؟ هل تكون التضحية هي السبيل المثلى؟ وبعد الطاعون حين يصل " كامو " لمسرحيته " حالة طوارئ " يجتهد في رسم شخصية بطله "دييجو" كمثال لإنسان يرفض الخضوع ويقاوم الخوف ويبعث الأمل في نفوس من حوله. بذلك كان (دييجو) نموذجاً لفئة من البشر لا تقبل الخضوع للخوف وسلطان العاتي، لأنها تجد نفسها أمام اختيار مصيري، فإما أن تكون كالأخرين وتسقط في براثن الطاعون، أو تنتفض وتواجهه، وتكسر الحاجز المرعب الذي يحيط به (كامو، ٢٠٠٩، ٩٥-٩٦). كما يجسد حوار دييجو مع الجوقة (رواد السوق) هذه المعاني.

دييجو: أزيلوا النجوم المعلقة بأبدانكم. افتحوا النوافذ، لم يعد ثمة مجال خوف.

دييجو: إيه أيتها الثورة! أنت مثال للرفض، أنت شرف هذا الشعب، هؤلاء الذين كمت أفواههم، امنحهم القوة من صيحتك. (كامو، ٢٠٠٩، ٩٩).

وبذلك، ينجح " كامو " في " حالة طوارئ " أن يقدم الحل ممثلاً في الخلاص والتضحية ويحاصر فكرة الاستبداد، حيث دافع عن إنسانية الانسان ويدين أي شكل من أشكال التدخل في حياته. والمقاومة كما أوضحها في " حالة طوارئ " لا بد أن تكون شاملة وتمرداً لا يقف عند حدود العمل السياسي، بل يتعداه للتغيير الاجتماعي ورؤية الشعب للواقع، ويرى " كامو " أن الثورة لا تُعد ثورة حتى يسير فيها التغيير السياسي جنباً الى جنب مع التغيير الاجتماعي والاقتصادي، أما مجرد التغيير السياسي فلا يُعد ثورة، وإنما تعد تعديلاً أو اصلاحاً " (كامو، ٢٠٠٩). وبذلك يدعو " كامو " لحياة بلا منغصات، ولا مواساة. حياة تتسم بالشفافية والوضوح، والوعي الكامل بقيمة الحياة، والمقاومة والتمرد أمام حدود العيب.

ب- تربية الطموح والتفائل تحقيقاً لسعادة الانسان

رغم ما يجابه الانسان من صعاب في الحياة، يظل الأمل ببزوغ فجر جديد ينعم فيه بالحرية وطيب الحياة رمز ودليل تربية الطموح والتفاؤل، والتي تدفع الانسان للحياة دفعا وتفتح أمامه آفاق رحبة من الإنتاج والإبداع. وهذا يتطلب تربية الفرد على إدراك الواقع والتقدير الجيد لأوضاعه، أو حسن تقدير المواقف بشكل يسمح للتعامل معها بإيجابية، حيث يأتي الأمل والتفاؤل نقطة انطلاق الفرد نحو التحرر من أغلال القهر والاستعباد. وهذا ما أراده " كامو " في مسرحية " حالة طوارئ " لما جسده (دييجو) بطل المسرحية من العزيمة والإصرار والطموح على الانتصار فكان الخلاص في التضحية، حيث نجده في مجمل حواراته يحاول ألا يسيطر الخوف والاستسلام على سكان المدينة (قادش)، ففي يقينه أن الخلاص قادم لا محاله؛ وحتى وإن كان بالتضحية؛ فالإنسان، فيه قوة جبارة يستطيع من خلالها أن يكسر أغلال القهر والاستبداد. **دييجو: إنه الطاعون الذي امتص لحمنا وفرق الأحبة وأصاب بالذبول زهر الأيام، ينبغي أولا أن نكافح ضده**

دييجو: فلتجتازوا شتاء الغضب

الجوقة (رواد السوق): ولكن هل نعثر على الأمل في خاتمة طريقنا، أم لابد من الموت في يأس؟

دييجو: من ذا الذي يتكلم عن اليأس، إن اليأس كمامة على الفم. إن رعد الأمل وبرق السعادة، هما اللذان يخرقان صمت المدينة المتعلقة بسياج

دييجو: هبوا واقفين كما أقول لكم. إذا شئتم الاحتفاظ بخبز الأمل، أتلفوا شهادتكم وحطموا زجاج المكاتب وغادروا طوابير الخوف، واهتفوا للحرية في جوانب السماء الأربعة

الجوقة: نحن أشد الناس بؤسا. والأمل هو ثورتنا الوحيدة فكيف نحرّم أنفسنا منها أيها الأخ. إن الأمل يرفعنا كالموج. (كامو، ٢٠٠٩، ١٠٠-١٠١). وهذا السياق يضمنه " كامو " في (أسطورة سيزيف) "و حين تتشبث صور الأرض بشدة بالذاكرة، وحين يشتد الحاح نداء السعادة، يحدث أن السوداوية تنبثق في قلب الانسان، وهذا هو انتصار الصخرة، هذه هي الصخرة ذاتها (كامو، د.ت، ١٤١).

فسيضيف من خلال ادراكه للحياة إلا أنه يتشبث بها من أجل الوصول الى السعادة ولأنه استوعب العبث الذي هو فيه، وبالتالي " فكامو " اعتبر أن سيزيف بطلا وأفضل مثال لتجسيد فكرة العبث ورغم معرفته بهذا العذاب والمعاناة، إلا أنه لم يفقد الأمل ولم يستسلم لهذا الوضع. " يجب على المرء أن يتصور سيزيف سعيداً " (كامو، د.ت، ١٤١ - ١٤٣). والانسان العبثي يحمل عبثه رغم انعدام الأمل والخلاص، إلا أنه يتطلع للسعادة رغم معرفته لما سيواجهه. والتربية لها دورها الهام والفعال في تربية الطموح وبت الأمل في نفس الانسان بأنه مهما توالى عليه من الشدائد والتحديات يمتلك من القدرات التي تؤهله لمجابهة هذه الصعاب، وقادر في ذات الوقت على تذليل تلك الصعاب والمضي قدما نحو تحقيق هدفه من الحياة وهو السعادة والسعي نحو الأفضل دون استسلام ويأس ، وهذا لن يتأتى إلا من خلال اتفاق القول والفعل ، والتوازن بين الحقوق والواجبات ليتحقق مجتمع العدل والحرية ، فيقول " كامو " في هذا الشأن " **لن توجد**

السعادة أبداً ما دامت الأشياء التي نؤمن بها ، تختلف عن الأشياء التي نقوم بها " ، ويقول أيضاً " التعود على اليأس أسوأ من اليأس نفسه " (كامو ، ١٩٨٣ ، ٣٦٥) . لذا على الانسان النضال والمقاومة دون يأس واحباط، وأن نتيجة سعيه ستحقق له أهدافه المرجوة.

ت- تعزيز وعى الأفراد بقيمة الفعل الإنساني

تبصير وتوعية الأفراد بواقع المجتمع وتناقضاته و مسالبه التي تقوم على صناعة القهر، وبث الخوف وزعزعة الثقة بالذات، ليست كافية لتغيير الواقع نحو الأفضل، بل الأمر يتطلب تعزيز الأفراد بقيمة العمل (الفعل الإنساني) لأجل بناء مجتمع حر، يحترم كرامة الانسان، وفي هذا الشأن يقول " كامو " الانسان العادل من يقيس حقوقه بواجباته " (كامو، ١٩٨٣، ٢٠)، وفيها دعوة الفرد الى بذل الجهد في عمل صادق منظم يتحقق معه إرساء دعائم حقوق الانسان القائمة على تحقيق العدالة والحرية. فتعزيز وعى الأفراد بقيمة الفعل الإنساني " طريقاً لقلب المعادلة لصالح الفرد؛ فيحصل على حقوقه كاملة دون ظلم أو تعدٍ من قوى جائرة مهيمنة، يقول " كامو " على لسان أبطال أعماله " الإنجاز قيد، فهو يجبر المرء على تحقيق انجاز أكبر " لا يمكنك خلق التجربة، ولكن عليك اجتيازها " (كامو، ١٩٨٣، ١٩)، (كامو، ١٩٨١، ٩٣).

٣. التربية وتنمية وتعزيز القيم المربية

الغاية القصوى من التربية غاية قيمية، وتربية ثقافة المقاومة تقتضي نسقا من القيم المربية، حيث تمثل أدوات للضبط الداخلي (وهي آلية من آليات المقاومة)، وكونها موجّهات لسلوك الفرد في ممارساته تجاه نفسه وتجاه المجتمع، والتربية بحاجة الى تكوين هذا الضبط أثناء عملية التنشئة الاجتماعية للفرد ليكون جزءا من تكوين الفرد يتضح في أفعاله ويحكم سلوكه، ويقاوم من خلاله سلبيات الواقع. والانسان في ظل سيطرة القيم المادية التي غابت عنها القيم الإنسانية، جعلته لا يستطيع أن يصل الى تحقيق أهدافه، لأنه لا يملك الحرية في ذلك، فهو يفضل الاعتراض ليتجنب الصراع مع المجتمع بصفة خاصة والوجود بصفة عامة، حيث شعر بأن المجتمع قد الحق به الضرر عندما مارس عليه القهر والعنف والاستعباد والاستغلال وفي نفس الوقت أقدم على لومه على نتائج أفعاله التي لم تصدر بإرادته الحرة بل كانت مصدر تلك القوانين التعسفية والمستبدة التي شئت الانسان، وجرده من حريته. وقام " كامو " بطرح قيم جديدة " وهي الاعتدال، الحرية، والعدالة، والتضامن الإنساني، وسبق أن تناولتها الدراسة الحالية في المحور المتعلق بأخلاق ثقافة المقاومة عند كامو (القيم الممكنة). لكن ثمة عدة قيم نركز عليها في فلسفة " كامو " لتربية ثقافة المقاومة" في مجمل أعماله الأدبية والفلسفية.

أ- تربية المواطنة، والانتماء، والمسئولية الوطنية

هناك علاقة ترابط بين المقاومة والمواطنة وكذلك القيم المرتبطة بها كالانتماء للوطن والمسئولية الوطنية، وهي تربية تدعم بعدا هام من أبعاد تربية ثقافة المقاومة، وهو حث الانسان على الدفاع عن وطنه ومواجهة كل ما يجابهه من مخاطر وتحديات. وهذا البعد يتطلب تربية الانسان الفرد على الإيمان بأهمية الدفاع عن مقدرات الوطن، ذلك لأنه واجب وطني على كل فرد ينتمي اليه وينعم بالعيش فيه. ويضمن " كامو " هذا البعد مثلا في "حالة طوارئ"

(دييجو) موجهها حواراه الى سكرتيرة الطاعون: ما الذي أستطيع أن أقهره في هذا العالم، اللهم إلا الظلم الذي وقع علينا
دييجو: إنني أنتمى الى جنس كان يقدس الموت مثلما يبجل الموت. ثم جاء رؤساؤك فأصبح الموت والحياة كلاهما عار. وفي موضع آخر من المسرحية يتوجه ديجو في حواراه الى سكان المدينة:

دييجو: أزيلوا النجوم المعلقة بأبدانكم

دييجو: افتحوا النوافذ

دييجو: لم يعد ثمة مجال للخوف. كل من يستطيع الوقوف فليقف. لماذا تتراجعون؟ أرفعوا الجباه. فهذه ساعة الفخر. ألقوا الكمامات عن أفواهكم وصيحوا معي، إنكم لم تعودوا تشعرون بالخوف

دييجو: إيه أيتها الثورة! أنت مثال حي للرفض. أنت شرف هذا الشعب، هؤلاء الناس الذين كمت أفواههم، امنحهم القوة من صيحتك

الجوقة (رواد السوق): أيها الأخ، إننا نستمع إليك أيها الأخ ونحن البؤساء الذين يعيشون على الزيتون والخبز

دييجو: سوف تفقدون الزيتون والخبز والحياة لو تركتم الأمور كما تسير الآن. اليوم لابد لكم من هزيمة الخوف لو شئتم أن تحتفظوا بالخبز فقط، ألا فلتستيقظي يا اسبانيا (كامو)، (٢٠٠٩، ٨٦، ٩٩).

ب- تربية احترام إرادة الشعب، ومقاومة العنف تجاهه

يعبر " كامو " عن استيائه من الانسان الخاضع والمتخاذل ويدعو الى مقاومة القهر والإذلال مهما كانت العواقب، مما يدعم حريته ويصون كرامته. والتربية التي تسعى إلى إرساء هذا البعد، فإنما تسعى إلى الارتقاء بمكانة الانسان، واتضح ذلك البعد جليا في " حالة طوارئ " وما فعله ديجو من مقاومة وتضحية في سبيل ايمانه بمبادئه. ولتأكيد حب الوطن والانتماء اليه كبعد ضروري من أبعاد تربية ثقافة المقاومة، لابد أن تتأكد على الجانب الآخر احترام إرادة الشعب، ومقاومة تزييف وعيه برفض اخضاعه وممارسة العنف تجاهه، وهو ما ضمنه " كامو " في مجمل أعماله التي تحمل سمة التمرد والمقاومة، فنجد في مسرحية " حالة طوارئ " يجسد هذا البعد من أبعاد تربية ثقافة المقاومة كالتالي:

الجوقة: أيها الأخ، إننا نستمع إليك ونحن البؤساء الذين يعيشون على الزيتون والخبز
دييجو: سوف تفقدون الزيتون والخبز والحياة، لو تركتم الأمور كما تسير الآن. اليوم لابد لكم من هزيمة الخوف

وأبضا في مسرحية " حالة طوارئ " عبر " كامو " عن مدى استهتار الحاكم بإرادة الشعب الذي إذا أراد الحرية فيقاوم.. ويقاوم.. ويقاوم.. وحتما سينجح في هدم أسوار القهر والإذلال التي أقامها الحاكم المستبد.

الطاعون: أصغ الي (إشارة الي ديجو)؛ إذا عرضت على حياتك بدلا من حياة هذه فسأضطر لقبولها. ولكن أعرض عليك صفقة أخرى أمنحك حياة هذه المرأة وأترككما تهربان وتتركاني أسوي أموري مع هذه المدينة ديجو: كلا إني أعرف قدراتي

الطاعون: لا بد لي أن أكون سيد كل شيء والألم أصبح سيد كل شيء، وإذا أفلت مني فإن المدينة بأسرها تفلت مني، تلك هي القاعدة لا أعرف ممن ورثناها ديجو: أما أنا فإني أعرف جواب سؤالك، إنها موروثه من أغوار الحقب، إنها أكبر منك وأعلى من مشانقك. إنها قدرة الطبيعة. لقد انتصرنا.

ديجو: لا أحتقر إلا الجلادين، ومهما فعلت فهؤلاء الرجال سيكونون أكبر منك، وإذا حدث لهم مرة أن يقتلوا فهذا ليس إلا جنون عابر، أما أنت فتذبح باسم القانون والمنطق، لا تهزأ من رؤوسهم المطأطأة، فمنذ قرون ومذنبات الخوف تمر من فوقهم " (كامو، ٢٠٠٩، ١١٠-١١١). لو تأملنا في الحوار بين الطاعون وديجو لنجد أن إرادة الشعب تنتصر في النهاية (فإذا الشعب يوما أراد الحياة فلا بد أن يستجيب القدر). ولو تأملنا مجمل تلك الحوارات نجد أن هناك استبداد من قبل الحاكم تجاه رعيته حيث يمارس كل أشكال القهر والإذلال تمهيدا لإحكام السيطرة عليهم. هذا الترهيب الذي يفرضه الحاكم، يجعل الشعب في تحدٍ يسعى من خلاله الي المقاومة تحقيقا لغاياته المنشودة وهي الحرية. ومن ثم يستطيع الإنسان بفعل التربية الي تأصيل قيم جديدة تؤسس للمقاومة والفعل، تسعى الي تحرير الانسان وتنمية وعيه وادراكه. ولقد " كامو " رافضا للعنف من أي مصدر جاء، وتحدث عن ذلك في خطابه في جامعة أوبسال السويدية عقب تسلمه جائزة نوبل ١٩٥٧ "، وفي سياق خطابه ندد بالعنف حيث قال "في هذه اللحظة هناك من يلقي بالقنابل في تراموايات الجزائر. ربما توجد أمني بين الركاب، فإذا كانت هذه هي العدالة فأنا أفضل أمني عليها " (كامو، ٢٠١٠).

ت- التربية التي تقوم على حرية الفعل والعقل

تمثل الحرية نقطة ارتكاز أساسية في فكر المقاومة بصفة عامة، وفلسفة " كامو " في الوجود بصفة خاصة، حيث تدور في فلكها قيم أخرى مرتبطة بها كالعدالة والمسئولية والالتزام والاختيار الحر والتضامن والكرامة الإنسانية. ويشير " كامو " الي أن " الحرية الواقعية لم تتزايد بنسبة وعى الانسان بالحرية " (كامو، ١٩٨٣، ٢٧). والتربية لا بد وأن أسمى غايتها تحقيق حرية الانسان وتحريره من القهر والاستعباد والاستغلال، وإلا فسوف تفتقد لمقومات وجودها ويفقد معها الانسان وعيه وحرية وتهدم بذلك قيمة المقاومة والتمرد. ومن ثم يحاول " كامو " في مجمل أعماله الأدبية والفلسفية التأكيد على تلك القيمة الجوهرية في فلسفته والغاية القصوى للوجود الإنساني أن يحصل على حريته تحقيقا للسعادة. والحرية من وجهة نظر " كامو " لها دلائل ومؤشرات، سبق وأن تحدثت عنها الدراسة الحالية في المحور الخاص ب " كامو وقضية الحرية كمرتكز لتربية ثقافة المقاومة ". ولكن ما نركز عليه هنا ما أورده " كامو " على لسان أبطال رواياته يحمل مضمون ذلك البعد الجوهرية في تربية المقاومة. فنجد مثلا في " سيزيف " يقول "

إن خطوة الذهن الأولى هي تمييز الصحيح من الزائف، وعلى كل حال، فحالما يتأمل الفكر في نفسه فإنه يكتشف التناقض أولاً " (كامو، د.ت، ٢٥)، وعن العقل ودوره في فهم عبثية الوجود والعالم، يقول " كامو " وتزرع بذور الرعب في حياته فيصعب على الانسان فهم هذا العالم أو استيعاب قيمه وأخلاقه، ويكتشف العقل أكثر فأكثر كثافة العالم أو استحالة تحويله الى شفافية يمكن ادراكها أو فهمها " (إدريس، ٢٠١٧، ٧٥).

إن الفكر التمردى مرتبط بمنطق العدم والتفكيك من خلال نفس المركز وتهميش الذات الإنسانية التي باتت خاضعة بأساليب القمع التسلطي، كالعنف والوحشية، الرعب، والموت، والتمرد عند كامو يكون من خلال إعمال العقل في إدراك عبثية الوجود ولا عقلانية العالم، ويذهب كامو إلى أن التمرد يقوم في مجال التجربة الإنسانية عمل الدور الذي يقوم به الكوجيتو الديكارتي (أنا أفكر إذن أنا موجود)، فيقول " كامو " (أنا أتمرد إذن أنا موجود)، فإن ديكارت ابتداءً بالشك، فإن كامو ابتداءً بالوعي، فكامو أثبت الوجود من خلال " الفعل" أما ديكارت أثبت الوجود من خلال الفكر (كامو، ١٩٨٣، ٢٩). وفي عبارة " كامو " تعنى أنه في كل مرة أتمرد فيها إذن أنا الآن موجود من منطلق الفعل وإعمال العقل حيث الوعي، والتمرد عند كامو ينتقل من التمرد الفردي كما في فعل (الغريب، سيزيف)، الى التمرد الجماعي كما في " كاليجولا، حالة طوارئ، الطاعون، الانسان المتمرّد). ومن ثم على حد تعبير " كامو " الانسان الكائن الوحيد الذي يرفض أن يكون على ما هو عليه، " كما أنه لا يرضى أبداً عن كيانه، فهو دائم السعي الى تغييره والعلو عليه " (مكاوي، ١٩٦٤، ١١). والانسان بفعل التمرد يستطيع أن يخرج مالم يستطيع إخراجه ويستطيع التعبير فيه عن نفسه لأن هذا الفعل - فعل تمرد- يحدد كيانه كفرد وكنسان، لأن التمرد يكون في الهجوم على المبادئ الأخلاقية التقليدية من أجل النهوض بها الى قواعد أخلاقية أسمى منها وأرقى أن تكون ظالمة وغير صالحة لجميع الناس بل تخدم الجماعات.

ث- تربية تقوم على إرساء دعائم السلام بين البشر، بما يحقق السعادة المنشودة

يقدم " كامو " رؤية واضحة حول العيش في سلام، فالإنسان حينما يسعى الى أن يحقق وجوده في الحياة، عليه احترام حقوق الآخرين، وإرساء قيم السلام بينهم. وهو ما عبر عنه " كامو " أن هدف التمرد إنما هو خدمة العدالة تحقيقاً للسلام بين البشر، وفي التمرد يتحد المضطهد مع كل المضطهدين وتتحقق الهوية التي تجمع بين الانسان وأخيه الانسان، والتمرد كذلك تضامن يعلو فيه الانسان على نفسه ويتجاوزها الى الآخر ويعي فيه وجوده كما يعي وجود الآخرين وكل من يشاركونه في الإنسانية وفي نفس الوجود. وتم تضمين هذا البعد في أكثر من عمل " لكامو " فنجد مثلاً في مسرحية " كاليجولا " الحوار الذي دار بينه وبين سيزونيا يدل على هذا البعد:
كاليجولا: ومن قال لكي أنني لست سعيداً

سيزونيا: لأن السعادة يا كايوس هي الجود والسماحة التي لا يمكنها العيش في وسط أجواء الدمار، فهي لا تنمو في بيئة مكتظة بالخراب والفساد كاليجولا: إذا يمكننا اعتبار السعادة نوعان، وأنا اخترت تلك السعادة الدامية الهدامة وذلك لأنني وجدت نفسي بها وأشعر بالبهجة والراحة فعلا في عمق أجوائها (كامو، ٢٠١٧، ١٨٥). ومن ثم تتجلى أهمية تربية الشعوب على حب السلام والتآخي، حيث يعيشون حياة خالية من الخوف والفرع، حياة تتحقق فيها السعادة الغاية النهائية من الوجود الإنساني - على حد تعبير " كامو " وهو ما يستدعي تفعيل دور التربية لتحقيق وعي الانسان بأهمية التسامح والسلام ومقاومة كل ما يحيط به من تناقضات وأفكار مغلوبة .

ج- التربية من أجل التثقيف، وتنمية الوعي الثقافي

يُضمن " كامو " أعماله الأدبية مستويات عدة من أبعاد تربية ثقافة المقاومة الموجهة ، أبرزها البعد الثقافي ، لما للثقافة من أهمية كونها عنصر تربوي يشكل عقل ووجدان الأفراد ، فيجعل " كامو " الثقافة مكانة هامة في نفوس البشر لأنها تبنى المثل والقيم العليا - التي طالما ما أكد عليها في مجمل كتاباته - وتنشئ قيما جديدة ، فالثقافة هي بمثابة معايير وموجهات لسلوكيات الأفراد لأن خياراتهم سوف تكون مسؤولة تجاه أنفسهم والمجتمع ، فيشير الحوار الآتي أهمية دور المعلم (المرى) في تنمية هذا البعد كما في " رواية كاليجولا " كاليجولا: إذا يكون ما حولي كاذباً، وأنا أريد أن أعيش في دنيا الحقيقة والصدق! وبالفعل أمتلك الطرق التي تمكنني من جعلهم يعيشون في دنيا الصدق، فأنا أعرف احتياجاتهم. إن معرفتهم فردية ذاتية، ويحتاجون إلى معلم ليلقنهم كيف يتحدثون (كامو، ٢٠١٧، ٢٥). وعن ماهية وأهمية الثقافة وآليات تنميتها يقول " كامو " الثقافة هي صرخة البشر في وجه مصيرهم "، " ولكي تصنع ثقافة لا يكفي أن تضرب بالمسطرة على الأصابع "، " المتنفذ من يستطيع عقله مراقبة نفسه " (كامو، ١٩٦٥، ٣٩-٤٠). وذلك لما تنتجه الثقافة من قيم توجه وتضبط سلوكيات وتوجهات الأفراد والمجتمعات على حد سواء. حيث صور " كامو " في "المتنرد " ضرورة امتلاك الانسان للوعي والثقافة والمعرفة التي تمكنه من مقاومة القيم والأخلاقيات المجتمعية البالية " لا تعترف بالقيم الأخلاقية السائدة، ولا تكن منتمياً الى معايير اجتماعية معينة، وإنما أصنع للحياة قيمتها المتجددة، وحقق لنفسك حريتها الخاصة بها " (كامو، ١٩٨٣، ١٤٠). ولكن إذا كان يحق للإنسان أن يحقق حريته الخاصة، ويصنع قيما متجددة لحياته وفق ما يمتلكه من معرفة وثقافة، فكيف له التعامل مع قيم اجتماعية بالية منغلقة مات فيها العقل والقلب وانعدمت معها قيم الإبداع واحترام كرامة الانسان وهي تسود الحياة الاجتماعية الآن؟ سيكون هذا بمطرفة نيتشه؟ أم بتمرد كامو؟ هل سيكون هذا الانسان منبوذاً؟ إنها حقاً مفارقة بين ما هو كائن وما ينبغي أن يكون.

تلك المفارقة تحتاج من الفرد امتلاك الوعي لفهم تناقضات الواقع وانعدام الوضوح فيه. وهذا لن يتأتى إلا بتنمية الوعي الثقافي للفرد، وهنا يتجلى دور التربية بمؤسساتها المختلفة بالألا يكون

هناك تناقض أولاً في أدوارها لأن هذا ينعكس على فئات الفرد وإيمانه بأهمية أدوار تلك المؤسسات المنوطة بعملية تنمية الوعي والتثقيف المجتمعي. ويجمل " كامو " كل ما سبق من أبعاد تربية ثقافة المقاومة في خطاب السويد الذي ألقاه في جامعة أوبسال عقب تسلمه جائزة نوبل، وهذا جزء من هذا الخطاب كالتالي " إن الفنان يُصنع من الذهاب والإياب الدائبين منه والى الآخرين، في منتصف الطريق من الجمال الذي لا يمكن أن يتخلى عنه والجماعة التي لن ينتزع منها. لهذا فالفنانون الحقيقيون لا يحتقرون أي شيء، ويلزمون أنفسهم بالفهم بدل إصدار الحكم، وهم إذا انحازوا لطرف في هذا العالم، فليس إلا إلى المجتمع، أو بعبارة نيتشه "حيث لن يسود أبداً الحاكم بل المبدع، عاملاً أو مثقفاً " أو قوله " كيفما كانت نقائضنا الشخصية، فإن نبل مهمتنا سيتجذر دائماً في التزامين يصعب الحفاظ عليهما. رفض أن نكذب حول ما نعرف، ومقاومتنا للاضطهاد، مقاومة كل أشكال الاستبداد والإذلال لكرامة الانسان، مقاومة التسخيف للقيم الرمزية العليا " (كامو، ٢٠١٠). فقد عاش " ألبير كامو " وكتب من أجل هذه القيم، التي نحن اليوم في كل مكان من العالم، وفي عالمنا العربي خاصة في أمس الحاجة إليها، في حاجة الى ربط الصلة معها والاستئثار بها وإثارتها مجدداً في مناقشاتنا وسجلاتنا، فهي ضرورية إبداعياً وأخلاقياً لأجل مجتمع التنوير والنهضة والتنمية.

✚ خاتمة وتصور

أولاً: نتائج الدراسة:

توصلت الدراسة الى عدد من النتائج أبرزها أن التوجهات الفكرية والفلسفية والأدبية " لألبير كامو " تدور حول عدة مرتكزات أساسية، شكلت رؤيته حول العديد من القضايا ومن أهمها قضية المقاومة

❖ نتائج الإطار النظري للدراسة

١. توجد علاقة متبادلة بين الأدب والتربية والمجتمع، لبلورة الأصول الأدبية للتربية.
٢. اتخذ كامو من الأدب وسيلة لتجسيد أفكاره الفلسفية، فهو يرفض أن يتخذ دور المشاهد السلبي للوقائع، إنما يسعى دوماً الى التغيير والدفاع عن القيم.
٣. المسرح هو أرقى الأنواع الأدبية كما يرى " كامو "، إنه موطن الحقيقة لا الوهم، فعلى خشبته نرى خبايا النفوس وحقيقة الانسان الخفية، أكد أن المسرح فاعل تربوي مهم، يلعب دوراً يصعب تجاهله في حياة الشعوب، لما يقدمه من قيم مربية ورؤى فكرية ووجدانية، وأبعاد لتربية ثقافة المقاومة، ويمثل تجسيدا لهموم الحياة وصراعات الانسان معها.
٤. كانت قضية كامو الكبرى هي خلق قيم جديدة في عالم متناقض لإعادة بعث الحياة في القيم القديمة البالية، فأراد كامو تجاوز صراعات العصر برفضه لكل ما يؤدي الى عذاب الإنسان وإيقاظ في النفوس معنى الحرية والعدالة والأمانة والشرف وروح التضامن.
٥. بقراءة أدب " كامو " والتعرف على سماته وفكره الفلسفي يوحى بوجود ثنائية لدية " ثنائية الأضداد " فنجدته يتكلم عن الشمال والجنوب، الخير والشر، الجمال والقبح، الحب والحقد

- والكراهية، الفقر والغنى، الشمس والظل، وهذه الثنائية تولد قضية في أدبه، ويريد بها أن يدافع عن الحرية في وجه الاستبداد وسلب الإرادة والعدالة في وجه الظلم والتسامح في وجه الطغيان.
٦. نادى كامو بضرورة التزام العدالة والحرية النسبية في التمرد ولا مكان لحرية مثالية، لأنه يؤمن بوجود حريات متعددة يصل إليها الانسان الواحدة تلو الأخرى، فالحرية بالنسبة للإنسان مراحل للطريق الذي سيؤدى به الى التحرر الواقعي الحق الذي يسعى اليه من خلال التمرد والمقاومة.
٧. يعد " كامو ابن عصره ممثلاً له، لا تتفصل كتاباته وأفكاره عن الظروف السائدة في عصره، استطاع بوعيه وإدراكه لهماهم عصره أن يقدم للإنسانية تراثاً فلسفياً وأدبياً، يساعد الانسان بتجده الدائم على خلق روح إنسانية جديدة، تؤمن بأهمية الحياة وبقدرة الانسان على تقديم الاسهامات الجديدة على الرغم من القهر والألم، وكأنه يبني فلسفة تدافع عن الانسان ومكانته ودوره في الوجود، وترفض كل أشكال العدمية والتطرف.
٨. امتلاك " كامو " رؤية فلسفية نقدية، حاول من خلالها تبصير وعى الجماهير بسلبات الواقع وتناقضاته، وحثه دائماً على الفعل وتحديد مصيره بنفسه، وامتلاك القدرة على الاختيار الحر، ومقاومة كل رموز الاستبداد واتضح ذلك في نضاله محلياً وعالمياً.
٩. توصلت الدراسة إلى أن بعض المفاهيم شكلت أفكار " كامو " مثل (الحرية، العدالة، الحد والقياس، الإلزام والمسؤولية، الوعي والإدراك)، عن أبعاد ثقافة المقاومة ومن أبرزها:
- أ- وعى الانسان بحدود حريته، لتحقيق وجوده.
- ب- امتلاك الانسان القدرة على الاختيار.
- ت- وعى الانسان بقيمة الفعل والقدرة على احداث التغيير.
- ث- حرية الانسان في تقرير مصيره في إطار من الالتزام و المسؤولية.
- ج- رفض الانسان لكل أشكال القهر والظلم والاستبداد والخوف في رحلته لتقرير مصيره .
١٠. انحاز كامو في معظم كتاباته الى الشعوب المناضلة والمضطهدة، ورفضه لكل مظاهر الظلم والاستبداد، وممارسة العنف ضد الشعوب، فمثلاً ظلت قضية الجزائر شاغله الأكبر، فقد ذهب اليه على الرغم التهديدات التي وجهت اليه، قائلاً " يجب أن نكون جديرين بأن نحيا حياة البشر الأحرار، حياة البشر الذين يرفضون ممارسة الإرهاب أو الخضوع للإرهاب ".
١١. المقاومة الحقيقية التي ينشدها كامو في مجمل أعماله يتجنب التطرف وتؤمن بالحدود (يضع حدا يقف عنده المتمرد المقاوم يقف عنده يمنعه من القتل والعنف " ليس ثمة عدالة ولكن ثمة حدود " (كامو، ٢٠٠٩، ١٢٠)، وصورها في روايته " العادلون ".
١٢. كان موته خير دليل على صدق فلسفته في الوجود والحياة، مات ميتة لا معقولة، ذلك الذي رأى أن كل ما في الوجود لا معقول " وإن لم ينقطع رجاؤه في الانسان وتمرده ومقاومته وثورته على كل ما هو غير مألوف عن الفرد. لو مات وهو يقاوم لكان أدى دوره الحقيقي، وهو الذي قاوم احتلال بلاده إبان الحرب العالمية الثانية بشجاعة وذكاء نادري المثال. لو كان مات وهو يثور ويتمرد على بربرية القوة الغاشمة التي تفرض البطش والطغيان في البلد التي ولد فيها - الجزائر لكان أدى دوره خير أداء، وهو الذي طالما ما ندد بجرائم الاحتلال الفرنسي للجزائر.

❖ نتائج الإطار التحليلي للدراسة

- توصلت الدراسة الى أن " ألبير كامو " قدم أسساً جديدة، تقوم عليها ثقافة المقاومة وهي:
1. أسفر التحليل الكيفي لبعض أعمال كامو التي تحمل مضمون التمرد والمقاومة عن بعض أبعاد لتربية ثقافة المقاومة، كل بعد من هذه الأبعاد مُحمل بقيم داعمة لتربية ثقافة المقاومة من أجل بناء الانسان الحر المقاوم لكافة أشكال القهر والاستبداد، كانت أبرز تلك الأبعاد ما يلي:
 - التربية من أجل تنمية وعي الانسان وإدراكه بحدود حريته في إطار الوعي بالعالم وتحدياته، من خلال: (نقد الواقع المفروض ومقاومة كل ما يكرس ثقافة القهر، امتلاك الوعي الناقد لمقاومة الواقع الزائف ورفض الاستسلام، إيقاظ المشاعر والبحث عن الحقيقة).
 - تربية الإرادة الإنسانية والصمود ومقاومة كل ما يكرس عبودية الانسان، وذلك من خلال (بث الأمل في التغيير ومقاومة الخوف، تربية الطموح والتفاؤل تحقيقاً لسعادة الانسان، تعزيز وعي الأفراد بقيمة الفعل الإنساني).
 - التربية وتعزيز القيم المربية، وذلك من خلال: (تربية المواطنة والانتماء والمسؤولية الوطنية، تربية احترام إرادة الشعب ومقاومة العنف تجاهه، تربية تقوم على حرية الفعل والعقل، تربية تقوم على إرساء دعائم السلام بين البشر تحقيقاً للسعادة المنشودة، التربية من أجل التثقيف وتنمية الوعي الثقافي).

ثانياً: ملامح وأبعاد الفلسفة التربوية المقترحة لتعزيز ثقافة المقاومة وانعكاساتها على مستقبل التربية العربية

إن المثقف الحق ينقد بنزاهة الأوضاع المجتمعية. ويدعو الى تغيير هذه الأوضاع طارحاً البدائل الأفضل. و" ألبير كامو" أديب وفيلسوف عالمي نقد بحرية ودعا الى المقاومة لكافة أشكال العبودية والظلم والاضطهاد والقهر الذي يمارس بحق الشعوب وبحق الانسان ورجبته في البقاء واستدعى من خلال كتاباته الأدبية منها والفلسفية والذي كان المسرح بالنسبة لها المنفذ على وعي الجماهير فقد استدعت تلك الكتابات العديد من القنوات والمواقف والأبعاد المختلفة لتربية ثقافة المقاومة، التي طالما ما تحولت الى مواقف حياتية قد يحقق من خلالها أهدافاً مربية في جمهوره المتلقي. وفي إطار العمل التربوي تقوم تلك الفلسفة التربوية المقترحة على عدد من الأسس والأهداف منها ما يلي:

1. فلسفة وأهداف الرؤية التربوية المقترحة

تهدف تلك الرؤية التربوية المقترحة الى تعزيز ثقافة المقاومة من خلال فعل التربية بآلياتها ومؤسساتها المختلفة لمواجهة تحديات الواقع التعليمي والتربوي المعاصر الذي يكرس للقهر والاستسلام والخضوع ويرسخ لثقافة الخوف، ذلك المناخ يغيب فيه الوعي وينعدم الإبداع ويصبح الانسان الفرد أسيراً لأغلال وقيوداً مجتمعية لم تحرره بل قيدت حريته. وتدور فلسفة وأهداف تلك الرؤية التربوية المقترحة حول:

- التأصيل التربوي لكل ما يرفض قهر وظلم الانسان واستعباده، ويدعم الخوف ويستلب الإرادة الإنسانية. وهو ما تناولته الدراسة في كتابات كامو التي جسدت معاناة الانسان ولكنه رفض الاستسلام والخضوع لواقعه المليء بالتناقضات.
- التأصيل التربوي لفكر وثقافة المقاومة لكل ما يعوق بناء الانسان وتقدم المجتمع. ومن ثم تأكيد الدور الفعال لتربية ثقافة المقاومة، وأهمية بناء الانسان الحر .
- خلق هدف مجتمعي عام يدور حول بناء الانسان الحر المقاوم المبدع والذي يلتف حوله الجميع في محاولة تحقيقه، من أدباء ومتقنين وفلاسفة ومفكرين وعلماء ممن قدموا ويقدمون دراسات عميقة ذات مصداقية في مجال المقاومة.
- الكشف عن أبعاد تربية الانسان الحر ومقاومة عوامل قهره.
- صياغة فلسفة تربوية ترتقي بالمستوى العام في التربية الوالدية لتجنب تربية الانسان المقهور.
- تحويل ثقافة المقاومة الى مشروع مجتمعي لمحاولة تجاوز تناقضات المجتمع وتحدياته بكافة قطاعاته - لاسيما التربية لأنها منوطة بعملية بناء الانسان المقاوم .
- أهمية بناء الانسان الذي يمتلك مقومات ثقافة المقاومة خاصة في العصر الراهن الذي يموج بالعديد من آليات الاختراق والهيمنة - لاسيما وسائل الاتصال الحديثة- التي انعكست على تشكيل فكر وثقافة الانسان المعاصر وأحدثت تبدلات في منظومة القيم المجتمعية الراسخة.

٢. منطلقات الفلسفة التربوية المقترحة

- يُعد الحديث عن فلسفة للتربية هو المدخل الصحيح للتعامل مع القضايا الفكرية والثقافية في هذا العصر (الكوني)، ولتحديد الأولويات التربوية في عالم متغير، أولى هذه الأولويات حالياً تعزيز فكر وثقافة المقاومة في المجتمع وبين شرائحه المختلفة- لاسيما النشء والشباب - الأكثر تأثراً بحملات التشويه والتغريب الفكري والثقافي وتناقضات الواقع التربوي والتعليمي التي تتعكس عليهم بصور سلبية عدة. وتنبثق تلك الرؤية التربوية المقترحة من عدة منطلقات أهمها:
- ❖ يعد الأدب رافد تربوي لا يمكن تجاهل تأثير دوره في المجتمع فينبغي الاستفادة منه في إرساء قواعد التربية الحرة. وتشكيل عقل الانسان ووجدانه وتهذيب نفسه، ودفعه لصياغة الحياة من حوله ومشاركته فيها بالمقاومة الفعالة لكافة أشكال القهر والفساد والإفساد للفرد والمجتمع.
 - ❖ التربية ظاهرة اجتماعية حيث تلعب دوراً مهماً وخطيراً في حياة الأمم والشعوب، فهي أداة المجتمع في المحافظة على مقوماته الأساسية من أساليب الحياة وأنماط التفكير المختلفة، لذا يعول عليها بناء وتشكيل شخصية مواطنيه والكشف عن قدراتهم واستثمارها في مواجهة شتى أشكال القهر والظلم والاستعباد والاستغلال والتبعية وتزييف الوعي التي تحيق بالفرد والمجتمع.
 - ❖ تربية ثقافة المقاومة تكتسب أهمية خاصة في ظل ما يشهده الواقع المجتمعي بصفة عامة والواقع التربوي والتعليمي بصفة خاصة من تناقضات وسلبيات تجعل الانسان الفرد عاجزاً عن المقاومة حتى وإن كان قادراً لا يمتلك من آليات المقاومة سواء الفكر والثقافة والعلم والقيم التي يشوبها التناقض والتبدل والتراجع في ظل انتشار وسائل الاتصال الحديثة على وجه الخصوص.

- ❖ تحديات ومشكلات الواقع المعاصر تستدعي معها تعزيز ثقافة المقاومة، فلم تعد المقاومة المسلحة وحدها محور ارتكاز مفهوم المقاومة، وإنما تتعدد أشكال وصور المقاومة من خلال الفكر والثقافة وتنمية القيم الكونية في ظل مغيبات الوعي الإنساني.
- ❖ الدور المنوط بمؤسسات التربية المختلفة - بدءاً من الأسرة التي تضع اللبنة الأولى في تربية وبناء الحر القادر على إدارة حياته ومشاركته في عملية التغيير المنشودة.
- ❖ المواقف والمضامين المربية التي تمثل دروساً مستفادة تميزت بها أعمال " ألبير كامو " الأدبية والفلسفية، يمكن الاستفادة منها في الفكر والفعل التربوي والتعليمي وما يشهده من سلبيات وتناقضات. في وضع السياسات التعليمية وتنفيذها في الواقع التربوي ، ووضع وتحديد الأهداف التربوية واختيار مضامين المناهج والمحتوى التعليمي وطرق وأساليب التدريس ، بل والأكثر من ذلك أهمية المناخ التربوي الذي يتم فيه الفعل التربوي من أجل بناء الانسان الحر المقاوم لكل ما هو غير مألوف على العقل ويساهم في تزييف الوعي والإدراك في ظل عصر سيطرة عليّة ثقافة الصورة أكثر من الجوهر والمضمون الموجه مما انعكس على الانسان المعاصر فكراً وسلوكاً ، وأيضاً التسلط التربوي وآليات التعامل معه من قبل أطراف العملية التربوية بمؤسساتها المختلفة .
- ❖ على الرغم من المفارقات التي تبدو أدبية في كتابات " كامو "، إلا أنه فتح بفكره آفاقاً رحبة أمام الانسان سعياً لتأكيد ذاته وحرية في هذا العالم الذي يندم فيه الوضوح والمعنى، ويغيب فيه الوعي وتستلبد إرادة الانسان وحرية، وتزييف فيه الحقائق، ليكون قادراً على الدفاع عن حقوقه المشروعة وهو مسئول وملتزم عن اختياراته وتبعاتها، وقدم " كامو " من الآليات للوصول الى هذا الاختيار كالتأكيد على:
- ❖ هدم وخلخلة المجتمع القائم على صناعة ثقافة القهر، والخوف والاضطهاد والاستعباد والخنوع والطاعة العمياء بما يعكس على قناعات الفرد وإيمانه بقدرته على التغيير فتثبط الهمم والعزائم.
- ❖ تحرير العقل والفعل. يقول كامو " فرق كبير بين حرية المبادئ وحرية الغرائز "، " إننا جميعاً نحمل في ذاتنا سجوننا وجرائمنا وفسادنا ولكن ليست مهمتنا أن نطلق لها العنان خلال العالم، بل أن نحاربها في ذواتنا وفي الآخرين ".
- ❖ تعزيز أخلاق المقاومة، والتي تمثلت في منظومة قيم ممكنة (الاعتدال والحد، الوعي والادراك، العدالة والحرية النسبيتين، التضامن البشري، الوعي بالطبيعة الإنسانية، قيمة الحوار والتخاطب بين الناس، الإبداع). " كل ما حولي كذب ورياء، أما أنا أريد أن أجبرهم على العيش بصدق وشرف، وأملك لذلك الوسائل الكافية إنهم لا يتمتعون بحيواتهم، وأعلم أن الذي ينقصهم هو المعرفة وينقصهم المعلم الذي يعي ما يتحدث به " (كامو، ٢٠١٧)، " ويقول " أن تبعد هو أن تعيش الحياة مرتين " (كامو، ١٩٨٣، ٢٠١٧).
- ❖ تفعيل للإرادة الإنسانية الحرة ضد الإرادة الإنسانية المستبدة.
- ❖ التوازن بين الحقوق والواجبات في إطار من قيم الالتزام والمسؤولية. " الانسان العادل من يقبس حقوقه بواجباته "، ويقول أيضاً " إن أكبر معركة يجب أن يخوضها الانسان هي معركته مع نفسه، معركة ينتصر فيها حب العدل على شهوة الحقد " (كامو، ١٩٨٣)

- ❖ التثقيف وتنمية الوعي النقدي، من أجل تحرير الانسان من كل ما يستلب وعيه وإدراكه، ويسقط عنه حقه في البقاء.
- ❖ بث الأمل والطموح لدى الانسان في التغيير وتفعيل إرادة المشاركة الفعالة لدية في إدارة هذا التغيير نحو الأفضل.
- ❖ دعم ثقافة المقاومة المعتدلة التي تستند الى الحد في ممارستها كي لا تتحول الى عنف وفوضى، وبما لا تُخل بمبدأ العدالة والكرامة الإنسانية.
- ❖ الالتزام الذي يرتبط بالمسئولية عن الفعل وتبعاته. ويقول " كامو " ليست الحرية سوى فرصة ليكون المرء أفضل " من السهل استنتاج النتائج التي يشتمل عليها الفعل من الفعل نفسه " كامو، ١٩٨٣، ٣٥٩-٣٦٥).
- ❖ المقاومة ليست مجرد فكر ولكنها أيضا فعل أخلاقي يقوم به الانسان من أجل تأكيد ذاته.
- ❖ رفض ومقاومة تشيؤ الانسان وقهر حريته.

٣. مرتكزات وأبعاد الفلسفة التربوية المقترحة، وآليات تنفيذها

تتطلق الرؤية التربوية المقترحة من عدة مرتكزات استندت اليها الدراسة الحالية في كتابات " كامو " التي تدعم ثقافة المقاومة المعتدلة، وأيضاً شواهد الواقع التربوي والتعليمي التي تعكس العديد من التناقضات والسلبيات التي تقيد حرية الانسان في أن يساهم في تغيير الواقع من حوله الى الأفضل، أبرز تلك المرتكزات والأبعاد لتعزيز ثقافة المقاومة لدى الانسان المعاصر ما يلي:

أ- خلخلة وهدم مجتمع القهر

ويعد خلخلة مجتمع القهر ركيزة أساسية لتعزيز ثقافة المقاومة، تتمثل في تبصير وعى الأفراد بطبيعة علاقات القوة التي تحكم أطراف الصراع في المجتمع، وما يترتب على هذه العلاقات أو يرتبط بها من صور الظلم واللامساواة وانعدام الفرص والتكافؤ. وتكمن أهمية الخلخلة، باعتبارها آلية من آليات الحرب الأيديولوجية التي يمكن الاعتماد عليها في اكساب الأفراد الوعي الناقد، بهدف مساعدتهم على قراءة الواقع ومساوئه، وإدراك آليات تزييف الوعي التي تقوم بها القوى المهيمنة للتعمية على الواقع المعاش الذي يسوده القهر والظلم والاستبداد. وفي هذا الإطار تحاول القوى المهيمنة فرض سيطرتها وإحكام قبضتها وأسلوب حياتها على القوى الاجتماعية الأخرى في إطار من الصراع والتناقض بين تلك القوى المجتمعية، في مقابل الاجماع والتوافق المجتمعي الذي هو جوهر أي مجتمع مستقر متوازن.

وتربية ثقافة المقاومة في هذا الإطار تقوم بشحن الهمم وإيقاظ وعى الأفراد لإعادة التفكير في كل ما يحيط بهم، فينشأ بذلك ثقافة مضادة للقهر وهي ثقافة الوعي القائم على النقد وابداء الرأي بحرية والمشاركة البناءة في عملية التغيير المجتمعي لذا تصبح مشاركة الأفراد الأمل شرط ضروري لهدم مجتمع القهر وبناء مجتمع قائم على دعم مبادئ حقوق الانسان.

ب- تقديم القدوة للجماهير في ممارسة فعل المقاومة

في إطار الصراع المجتمعي بين القوى المهيمنة والجماعات الخاضعة، تبدو الحاجة ملحة لوجود نماذج ومثل عليا يقتدى بها الجماهير الخاضعة في رفض ومقاومة كل أشكال القهر والظلم

والاستبداد والاستغلال، والإقدام في شجاعة وبسالة لإقرار الحق والعدل والحرية والكرامة والديمقراطية. ربما هذا ما فعله " ألبير كامو " في مجمل كتاباته عن تقديم القدوة للجماهير لتكون بمثابة نور تهتدى به في ظلمات القهر والاستبداد وتزييف الوعي والإدراك كما في " حالة طوارئ، كاليجولا، الانسان المتمرّد، سيزيف). وهنا يتجلى دور التربية بمؤسساتها المختلفة في تقديم القدوة الإيجابية والفاعلة المناهضة للخوف والظلم والاستبداد وتزييف الوعي الإنساني وقهر حرية الانسان. ويكون ذلك بدءاً من الأسرة باعتباره النواة الأولى في عملية تربية ثقافة المقاومة من خلال تقديم القدوة الحسنة من خلال الآباء وأساليب التنشئة الاجتماعية المتبعة القائمة على ضرب أروع الأمثلة في النضال ومقاومة تحديات وتناقضات الواقع من حولهم.

ت- التنوير وبث الأمل في التغيير

يعد التنوير الشرط الأساسي لأي تغيير منشود، وهو وسيلة الأدباء والمفكرين والفلاسفة لبث الأمل باعتباره قيمة جوهرية تبعث الطموح والنفاؤل في تحقيق حياة أفضل ولمواجهة آليات القوى المسيطرة لدفع الجماهير الى اليأس والإحباط والتخاذل عن الفعل كوسيلة لتنشيط الهمم والإبقاء على الأوضاع حفاظاً على مصالحها حتى ولو على حساب مصالح الجماهير. ونجاح مهام الأدباء والمفكرين مرهونة هنا بعملية التربية ومؤسساتها المختلفة التي تتكامل مع بعضها البعض في بناء إرادة التغيير لدى الأفراد ، بحيث يتولد لديهم الايمان بأهمية التجديد والتغيير، وتكون تلك الإرادة الجماهيرية نابعة من الإصرار والعزيمة على استبدال قيم القوى المسيطرة الممثلة في ممارسة القهر والإذلال والاستغلال والظلم واللامساواة والتهميش وتزييف الوعي والحقائق الكامنة في صدورهم ، بمجموعة أخرى تدعم ثقافة المقاومة والتمرّد المعتدل كالالتزام والمسئولية والحرية والعدالة والوعي والتضامن البشري والحوار البناء . ويتجلى دور التربية في ترسيخ تلك القيم الإيجابية الداعمة لثقافة المقاومة،

ث- بناء وتنمية الوعي النقدي لدى الجماهير

تتخذ الجماعات المسيطرة من الوعي الجماهيري وسيلة لإحكام سيطرتها وقبضتها على زمام الأمور وذلك من خلال تغييب الوعي بتزييف الحقائق والواقع من حولهم. وتبدو فعالية ثقافة المقاومة في قدرتها على بث المعرفة الصحيحة والدقيقة بحقائق الأمور، لإكساب الجماهير قدرة الحس بالواقع، للتبصير بتناقضاته وتكوين الوعي الناقد الذي يحول وعى وإدراك الجماهير الى سلوك فعلى يتضمن القيام بأعمال مؤداها تغيير واقع القهر الذي يقيد حرية الانسان، وعبر " كامو " عن هذا الوعي النقدي في روايته " الطاعون " " أن أهل المدينة يعوزهم الحس بالواقع ". ويتجلى هنا دور التربية في تعزيز وتنمية هذا الوعي الناقد لدى الأفراد بطبيعة الواقع وتناقضاته وسلبياته وسبل مواجهتها.

ج- تحرير الفكر والعقل

العقل بوصفه أداة للتفكير الذي تميز به الانسان عن سائر الكائنات الحية، هو مصدر إنسانية هذا الانسان. فالإنسان يحقق إنسانيته ويكملها إذا بقدر ما يفتح أمام عقله آفاق التفكير غير المقيد وغير المحدود. ولكي يأخذ هذا العقل مداه يجب أن يتحرر من جملة قيود، أبرزها:

- ✓ أن يتحرر ايمان العقل، من النصوص الجاهزة والمقولات والأفكار الراسخة بوصفها حقائق مطلقة ممنوع الشك فيها، فذلك يحد من عقلانية العقل ويضعف قدرته على التفكير وعلى البحث عن الحقيقة وبالتالي إدراك الظواهر. "يقاس العقل بالنقاش" (ويكيبيديا، الموسوعة الحرة، كامو).
- ✓ يتحرر العقل بتحطيم الأفكار الجامدة، فبنية الانسان العقلية كثيرا ما ترتكز على منظومة معايير ثقافية متوارثة أو مكتسبة، يعتمدها العقل كأدوات قياس، فيصبح العقل أسير أحكام مستمدة من ارتكازه على تلك المنظومة القيمية لكونها جامدة، بل لا بد أن يسمح العقل لنفسه أن يعيد النظر فيها وفق اعتبارات الزمان والمكان وبما يضمن عملية تحرير الانسان.
- ✓ تحرير العقل من القدرية المقيدة لحرية الانسان، التي تؤسس للخنوع وتضعف الطموح وتبدد روح المبادرة ويجد الانسان نفسه معفياً من أي مسئولية أو أي دور في تغيير الواقع.
- ✓ تأسيس بنية عقلية متحررة من الكونية والجمود والسلبية المتلقية؛ فعلى الانسان أن يتحرر من مناهج التعليم ومن أنماط التربية المدرسية والأسرية والإعلامية التي تقوم جميعها على ثنائية الثواب والعقاب (الأمر والنهي)، وهو منحى يؤسس لعقل أسير الخوف والاستسلام والطاعة العمياء - عقلا خاضعاً لأمر الواقع، تغلق أمامه آفاق رؤية الأمور بطريقة مختلفة. ويتجلى دور التربية بمؤسساتها في:

- تحرير العقل من الشكلية في قراءته للظواهر والنصوص. مما يضع العقل أمام حدود تحول دون استغلال إمكاناته وقدراته في النفاذ الى معاني الظواهر والنصوص.
- تحرير العقل من سطوة الماضوية، فالعقل الماضي ليس حراً، وإنما متلقٍ ومستسلم لما يتلقاه من معارف وأفكار لمجرد رواجها في أحد المجتمعات مثل: نهاية التاريخ، ما بعد الحداثة.. الخ.
- تحرير العقل من الصورة أو الحقيقة المصطنعة التي يقدمها الاعلام عن العالم، بل يعيد إنتاج الصورة الأكثر واقعية عن العالم بكل تناقضاته وأزماته.
- تحرير العقل من وهم امتلاك الانسان للحقيقة المطلقة، فقيمة التحرر أن ينقلب الانسان على نفسه حين يكتشف أنها على خطأ، مما يفسح أمامه مساحة للحوار.

ح- التربية الوالدية

تُعد الأسرة النواة الأولى والأساسية في عملية التنشئة الاجتماعية، فمن خلال أساليب التنشئة الاجتماعية الأسرية المختلفة تتحدد معها مقومات شخصية الأبناء، والمناخ التربوي الأسري الذي يدعم الحوار والديمقراطية يساهم في بناء الانسان الحر القادر على تحمل المسؤولية واتخاذ القرارات، على العكس منه مناخ يسوده القهر والإذلال والاستبداد والتسلط في تربية الأبناء، ينعدم معه حرية الأبناء فتصبح شخصيات غير سوية تشعر بالقهر والخوف والإذلال. ويُعد الصمت والخضوع نتيجة مباشرة للقهر والاستبداد فالابن الخاضع هو نتيجة ممارسات أبوية متسلطة فهو يفضل الصمت على المواجهة والتصادم المباشر غير المتكافئ مع الوالدين ويعد هذا وجه آخر للتمرد. هذا النمط من التربية يقابله واقع تربوي يمارس أنماط سلبية، أبرزها:

- ✓ تربية تقود للخنوع وترسخ للاستسلام والانهازمية.
- ✓ تربية تتخذ من العقاب أسلوباً مقصداً لها.

- ✓ تربية تفقد للحلول المنطقية للمشكلات التربوية.
- ✓ تربية تؤدي الى استلاب الإرادة الإنسانية.
- ✓ تربية تدعو الى اليأس والإحباط وتثبيط الهمم.
- ✓ تربية تركز لإستبداد الآباء وتسلطهم.

لذا ظهرت العديد من الرؤى والتوجهات الفكرية التي تتحدى بأهمية التربية الوالدية كمرتكز أساسي لبناء الانسان الحر. وتكون من خلال (التربية الوالدية الديمقراطية) وهذا النمط المفقود لأنه ربما يكون الأصعب في تنفيذه في ظل ضغوط الحياة ومثيرات العصر التي انعكست على الأبناء فأصبحوا بمعزل عن الآباء، فتزايدت معدلات الاغتراب بين النشء والشباب حتى داخل أسرهم. وفي مثل هذا النمط من التربية نجد التربية تتسم بروح الحرية والحوار والاحترام المتبادل بين الأبناء والوالدين، فعندما يلجأ الوالدين للعقاب لابد أن يكون عقاباً مساوياً لخطأ الابن لأن ذلك يفقده الإحساس بالأمان، وينبغي توضيح أسباب العقاب له حتى لا يدركه كعقاب في المطلق وخاصة إذا كان ما يفعله لجذب انتباه واهتمام الآخرين وليس المقصود منه الفعل في ذاته، لذا تُعد التربية الوالدية مدخل ومرتكز أساسي لتربية وبناء الانسان الحر المقاوم لكل أشكال التسلط والقهر والخضوع والاستسلام.

خ- تعزيز ثقافة الديمقراطية

للتربية في عالمنا المعاصر المكانة الأولى في تحقيق آمال الشعوب في حياة تستند الى الحرية والعدالة وما يرتبط بها من ممارسات لا تولد مع الأفراد وإنما يكتسبونها بالتعليم والممارسة ولهذا لابد أن يتهيأ المناخ التربوي لممارسة أساليب الحياة الديمقراطية فيفهم النشء والشباب مبادئ هذه الحياة ويمارسونها في خبرات تربوية منظمة. والديمقراطية هي قيم وعلاقات وأساليب تفكير وقواعد وضوابط يجمع الفرد بمقتضاها بين حريته ومسئوليته وبين حقه وواجبه نحو الجماعة وهذا يتطلب نوعاً من التربية يمكنه من ممارسه الحرية على أساس من العلم. ويعرف " كامو " الديمقراطية " بأنها الممارسة الاجتماعية والسياسية للتواضع والاعتدال "، " ويرى " كامو " أن هناك نوعان من المفاهيم المضادة للديمقراطية، الأول: يقول: " لا يمكننا تغيير الناس.. أي أن الحروب حتمية وأن العبودية الاجتماعية موجودة في طبيعة الأشياء شئنا أم أبينا " ، ويضيف أما المفهوم الثاني المضاد ، يقول " إن تغيير الناس وتحريهم ممكن ولكن يعتمد على مبدأ معين (كحزب أو أيديولوجيا معينة) وعليهم أن يتحركوا وفق نهج معين وثبات كي يحصلوا على النجاح " وعليه يقول " كامو " عندما سنصير جميعاً مذنبين ، ستحل الديمقراطية " ، " هناك دائماً يأتي وقت في التاريخ حيث يكون عقاب من يتجرأ على قول أن $2+2=4$ هو الموت والمسألة ليست كيف يكون الثواب والعقاب نتيجة هذا التفكير المسألة ببساطة ما إذا كانت $2+2=4$ أم لا ؟ (مفهوم الديمقراطية عند ألبير كامو، ٢٠١٨)، (نور الدين. موقع ويب). ولتعزيز ثقافة الديمقراطية، ينبغي على مؤسسات التربية المختلفة تنمية الوعي بأهمية كفالة الحريات العامة، كحرية التعبير، تأكيد أهمية المشاركة الإيجابية، وضوح العلاقة بين الحق والواجب، العدالة الاجتماعية، الارتقاء بمستوى حياة الأفراد، الثقة بقدرات الفرد الإنساني

- وامكانياته، وأيضا تهيئة مناخ الحرية الذي يدعم حرية الفكر والإرادة. وتقوم تربية الديمقراطية على تدمير القيم السلبية التي رسخها النظام التعليمي والعمل على ترسيخ:
- ✓ قيم الحرية التي تؤكد حرية القول والتفكير والتغيير والممارسة.
 - ✓ قيم التواصل الاجتماعي (التضامن الإنساني) التي تؤكد قبول الآخر ويكون التواصل مع الآخر وفق مبدأ الحوار والمشاركة.
 - ✓ قيم العدالة الاجتماعية التي تضمن الحق والمساواة والكرامة الإنسانية.

د- تربية الإبداع

حيث تستهدف تربية الإبداع تحرير تفكير الانسان وتنمية مشاعر الحرية، معتبرة أن الحرية تمثل التحرر من الجهل والتعصب في الآراء والمعتقدات الخاطئة. فترية الإبداع هدفها البحث والتقصي والاستكشاف بدلاً من التخبط والعشوائية. وهنا يتجلى دور التربية في إحداث تغييرات إيجابية لدى الأفراد وتنميتهم وتطوير شخصياتهم، وتطوير قدراتهم وتدريبهم ليكونوا قادرين على التفكير.

ذ- التربية الحوارية

في ظل التربية الحوارية، فإن السلطة تكون للحرية وليس لأي مصدر سلطة أخرى. ففي ظلها لا يوجد من يمتلك المعرفة وآخر لا يمتلكها وإنما الجميع يتبادلون المعرفة حيث يتوسطهم العالم في هذه الممارسة. فالتعليم الذي يستهدف الحرية ويركز على الإدراك أكثر مما يركز على نقل المعلومات، فالعلاقة الحوارية التي تنشأ بين المعلم والتلميذ تساعدهما على الوعي بمادة التعليم. لذا يصبح التعليم وحده القادر على حل التناقضات التي تحول دون تحقيق الحرية، ففي هذا النمط من التعليم تسود علاقة جديدة بين المربي والمتربي (المعلم والتلميذ) قوامها تبادل الرأي والمشورة وحل المشكلات.

ر- تربية الإرادة الإنسانية الحرة

التربية الحرة يكون نتاجها أجيالاً مبدعة، تزداد الحاجة إليها أكثر فأكثر في هذا العصر، لأن التقدم العلمي الحادث لا يمكن تحقيقه دون التطوير للقدرات المبدعة عند الانسان. وهذه أهم وظائف المجتمع الحر. تربية الإرادة هي تربية الإنسان على أن " يريد " وأن يسعى الى تحقيق " ما يريد " وأن ترسخ فيه روح النشاط والعمل والإصرار والصمود والتحدي (مقاومة)، وينبغي ألا يكون محور الارتكاز وقت ممارسة التربية على تذكير الانسان بالضعف والعجز وقلة الحيلة، بل تكون التربية مركزة على الصمود والسعي وبذل قصارى الجهد، كما لو كان النجاح مضموناً، ويبقى إدراكه مرهوناً بإرادة الله سبحانه وتعالى. وهذا البعد لم يغفله كامو في مجمل أعماله التي تحت الفرد على الصمود والتحدي كما في " سيزيف، الطاعون، حالة طوارئ، العادلون ".

٤. متطلبات وآليات تنفيذ الرؤية التربوية المقترحة

لدم تلك الرؤية التربوية المقترحة توجد عدة متطلبات وآليات لتنفيذها، تنطلق من:

أ- أهداف التربية / تحرير الفلسفة التربوية، وذلك من خلال عدة اجراءات:

- تحقيق الانسجام والتكامل بين مؤسسات التربية المختلفة بعيدا عن التناقض والازدواجية في الرسالة الموجهة للأفراد بما ينعكس على التخبط والعشوائية-لاسيما بين الأسرة والمدرسة، وهذا يعنى تحقيق التوازن في العمل التربوي بين المستويات الوجدانية والجوانب العقلية للمتربي.
 - تبني فلسفة تربوية نقدية في تربية الأجيال الجديدة، وهذا يجعل العقل لا يقبل الاكل ما هو خاضع لقوانين العلم ورفض ما عداه.
 - اعتماد تربية للشخصية تشمل عملياتها القلب والعقل والإرادة في آن واحد.
 - اهتمام فلسفات التربية بتنمية التكوين الوجداني، وذلك لكون الحرية مكون من مكونات الوجدان.
 - تحرير التربية العربية من أغلال الماضوية، وربطها بالحاضر، والمستقبل.
 - تحرير التربية العربية من الصبغة اللفظية المسيطرة عليها.
 - تأكيد النظرة الإنسانية للفرد - لاسيما المتربي أو المتعلم، فهذه النظرة لطالما أكد عليها " كامو " في أدبياته، حيث رفض بقوة المساس بحياة الانسان، وحقه في حرية التفكير والقول.
 - تحرير التربية العربية من شيوع استخدام أساليب القهر والتسلط والإذلال التي تنعكس على الشعور باليأس والإحباط وعدم الرغبة في الإنجاز وفقدان الرغبة في الفعل والعمل الحر.
 - إشاعة مناخ تربوي يسوده الأمن والحرية بين جنابات المجتمع ومؤسساته.
 - تطوير النظم التعليمية بأهدافها، وبنيتها، وأساليبها، كالتنوع في طرق التدريس بدلا من الاقتصار على التلقين.
 - النظر الى المنهج على أنه إطار شامل من المعارف والخبرات والمهارات.
 - إقامة علاقات متوازنة وتفاعلية بين المعلم والتلميذ أساسها التفاهم، والاحترام، والحوار، والسعي الى تحقيق أهداف مشتركة.
 - مقاومة تسليع التعليم، وإبقاؤه خدمة تقدمها الدولة لمواطنيها.
- ب- **مراجعة السياسة التعليمية في ضوء ملامح الفلسفة التربوية الجديدة، من خلال:**
- ✓ إعادة النظر في القوانين والتشريعات الخاصة بالعملية التعليمية المتعلقة بالعلاقة بين أطرافها التي ينبغي ألا تبنى على الاستبداد والتسلط والديكتاتورية في اتخاذ القرارات.
 - ✓ التأكيد على حقوق الطلاب في تأكيد ذاتهم من خلال حرية إبداء الرأي والمشاركة في اتخاذ قرارات تعليمية تخص مصيرهم ومستقبلهم التعليمي.
 - ✓ التأكيد على دور التعليم في صياغة المفاهيم التي تؤكد الهوية والثقافة، مما قد ينعكس على تشكيل العقل وتنمية الوعي من عدمه.
 - ✓ التأكيد على دور التعليم في الفصل بين المفاهيم بالتوعية بالفروق بينها، كالفرق بين المقاومة والعنف والجهاد والإرهاب والتطرف وغيرها من المفاهيم مما يصنع فكر الفرد تجاه القضايا المختلفة، وبالتالي تمكنه من مقاومة أية أفكار مشوشة أو مغلوطة.
 - ✓ صياغة السياسة التعليمية في ضوء منظومة قيمية داعمة للمقاومة كتتمية الوعي بأهمية التفكير النقدي، الطموح والصمود وبث الأمل والتفاؤل في العمل والإنجاز، وهذه قيم مربية تدفع الفرد " المتعلم " لمزيد من العلم والترقي (مقاومة).

✓ صياغة السياسة التعليمية وفق أسس تربية ثقافة المقاومة بعيدا عن القهر والاستبداد وترسيخ ثقافة الطاعة العمياء التي تعيق الفرد " المتعلم من الإبداع والإنجاز، والتي أكد عليها " كامو " في أكثر من موضع، سياسة تعليمية تدعم بفلسفتها وقوانينها وتشريعاتها ما يلي:

١. قواعد المناقشة والحوار البناء مع أطراف العمل التربوي والتعليمي.
٢. ترسيخ دعائم التربية الوالدية لكونها اللبنة الأولى في تربية الانسان الحر.
٣. تربية ايجابية لا ترسخ للاستسلام والانهازمية.
٤. تربية قائمة على التحفيز وتربية الطموح والتفاؤل.
٥. تربية تتقبل الآخر مع اختلافه في إطار من قيم التضامن الإنساني.

ت- تفعيل المناخ التربوي الداعم لثقافة المقاومة، وذلك من خلال:

- أن تقوم التربية بمؤسساتها بدور فعال في إعداد أجيال المقاومة، فكرا واتجاهات ومهارات، وذلك في حال أن يكون للدولة فلسفة مقاومة تتصبع بها مناهج التعليم ومؤسساته.
- مناخ تربوي يحترم إنسانية الفرد أي جعله انسانياً يعيش في مجتمع ضمن إطار اجتماعي تحكمه ضوابط ومعايير وقيم توجه سلوكيات الأفراد الوجهة السليمة دون قيود تحد من حرية الفرد وتمارس عليه القهر والتسلط وتبعث فيه اليأس والإحباط وعدم الرغبة في العمل والإنتاج.
- تضافر جميع مؤسسات التربية في تعزيز ثقافة المقاومة لكل ما هو غير مألوف في الواقع يعوق حرية الفرد بدءاً من الأسرة وانتهاءً بالدولة.
- بناء ثقافة مقاومة، تدعم القيم الإنسانية التي تستند الى إرساء دعائم العدل والحرية والمساواة والتضامن الإنساني والمواطنة والانتماء والمسؤولية الوطنية وكذلك تنمية الوعي والادراك والسلوك الحياتي المقاوم لكل تناقضات الواقع وسلبياته.
- بناء ثقافة مقاومة، تبث روح الأمل والطموح والتفاؤل تحقيقا لسعادة الانسان الغاية القصوى من الوجود الانسان (كامو، ١٩٨٣، ٣٦٤).

ث- تفعيل دور مؤسسات التربية لتعزيز ثقافة المقاومة:

✓ بدءاً من الأسرة لكونها مصنع الرجال ومستودع القوة الباقي لأفراد المجتمع في ظل التناقضات التي يشهدها الواقع التربوي، وذلك من خلال التربية الوالدية التي تُعد من أهم الآليات التي تشكل شخصية الانسان، فإذا كانت تعتمد على القهر تعزز الخضوع والاستسلام والانهازمية، أما إذا كانت تربية حرة ديمقراطية تبنى على ثقافة الحوار فإنها تعزز إنساناً حراً قادراً على إدارة حياته وتقدير مصيره ويزداد لديه الطموح ويصبح فرد صالح منتماً لمجتمعه.

✓ أما عن دور المدرسة فهو مكمل لدور الأسرة، فينبغي:

١. تضمين مرتكزات وأبعاد التربية التحريرية في مناهج التعليم في جميع المراحل التعليمية.
٢. عقد ندوات ومحاضرات لمجالس الآباء بالمدارس لتوعيتهم بمخاطر ممارسة القهر على الأبناء، وأهمية التزام الأسرة بالحوار والتربية الحرة الديمقراطية بعيداً عن أخلاق الطاعة القائمة على الخنوع والخضوع والاستسلام.

٣. حث الطلاب على تبني الأفكار والمشاريع الداعمة للمقاومة من خلال استغلال المناسبات الوطنية ومشاركة الطلاب في المؤتمرات الداعمة للمقاومة.

٤. توعية الطلاب وتعويدهم على المشاركة الإيجابية والفعالة في المواقف التعليمية وزيادة فرص التفاعل بينهم وبين المعلم وبين المادة الدراسية باستخدام النقد والافئاع والتفكير الحر.

✓ أما عن دور وسائل الاعلام، فيكون من خلال نشر ثقافة المقاومة بجميع الوسائل والأساليب الإعلامية، كالأخبار والأناشيد والمسلسلات والحوارات، على أن تتناسب مع جميع الفئات والمستويات العقلية. أيضا نشر التوعية والتثقيف المجتمعي في مخاطر ممارسة التسلط والقهر على الأفراد - لاسيما النشء والشباب، مما يؤثر على الطموح والانجاز وانتاجية الفرد وتنمية المجتمع. التوعية بمخاطر وسائل الاتصال الحديثة التي قد انعكست على الواقع التربوي بسلبياته وتناقضاته حيث الصراع القيمي والأفكار المغلوطة والمشوشة بين أكثر الفئات استخداماً لها وهم الشباب، مما انعكس على وعيهم وادراكهم.

✓ أما دور الخطاب الديني من خلال المؤسسات الدينية، فلا بد أن تتضمن الخطب الدينية التأكيد على احترام إنسانية الفرد، وتعزيز حب الوطن والانتماء الية والمسؤولية الوطنية في النفوس، والحث على تغليب وتقديم المصلحة العامة على الخاصة، وبذل الجهد لخدمته وتحريره من كل أشكال الظلم والتبعية والقهر.

ج- تفعيل دور المعلم الداعم لثقافة المقاومة، وذلك من خلال:

✓ إعداد المعلمين والعاملين في الحقل التعليمي والتربوي بطرق تعليمية تركز على المناقشة والحوار الجماعي ليس بطرق تلقينية يكون المعلم أسيراً لها في المستقبل ومقيداً بها.

✓ أن يعي المعلم أنه ليس هناك معرفة كاملة يمتلكها، وإنما هناك موضوع معروف يتوسط بين المعلم والمتعلم كفردين في عملية المعرفة، وينشأ الحوار بينهما على هذا الأساس.

✓ مناقشة المعلم مع المتعلمين الواقع الحقيقي لحياتهم، هذا الواقع المليء بالتناقضات والتسلط، هذا الواقع الذي يألف فيه الناس الموت أكثر مما يألفون الحياة.

✓ أن يقيم المعلم صلة وثيقة بين المعرفة التي يكون مصدرها المنهج الدراسي، والمعرفة التي هي ثمرة التجربة المعاشة لهؤلاء الطلاب كأفراد.

✓ تغيير مسارات التواصل والتفاعل بين المعلم وطلابه من المسار أحادي الاتجاه، إلى مسار أطرافه عديدة.

✓ لا بد على المعلم أن يكون واعياً بطبيعة المرحلة الدراسية التي يتعامل معها، حتى يخاطب المتعلمين بما يتناسب معهم، وبما لا يفوق قدراتهم فيفقدون الثقة بالنفس.

✓ العمل على خلق مجالات اجتماعية وأنشطة فكرية وبدنية ليسلك المتعلم وفق هذه القيم، فتصبح وكأنها من تكوينه وخلقه، وتصير بمثابة الدوافع التي توجه سلوك الانسان الحر المقاوم للقهر.

ح- تفعيل المناهج التعليمية وأساليب وطرق التدريس لتعزيز ثقافة المقاومة، إذا أردنا أن تؤتي

الفلسفة التربوية ثمارها، فلا بد النظر الدقيق في مضامين ومحتوى تلك المناهج ولأي الفئات تقدم، ومن أجل تعزيز ثقافة المقاومة، تأتي الإجراءات كالتالي:

- بناء مناهج ومحتويات تعليمية، توصل لثقافة المقاومة، تتدرج مع المتعلمين من السنوات الأولى من تعليمهم، تتناول القيم الإنسانية، تربية المقاومة وآلياتها في ظل تناقضات الواقع وسلبياته، ومواقف من مقاومة نضال الشعوب في وجه الظلم والقهر والاستبداد.
 - بناء الوعي بحقائق العصر ومعطياته، ودور التربية ومؤسساتها في مقاومة هذا الواقع.
 - بناء وعى تربوي شامل، مع ضرورة الانفتاح على العالم وعدم الانكفاف على الذات، من أجل أن يعرف - المتعلم - ما يدور حوله ويفهمه، فيكون لديه البصيرة الكافية لمقاومة كل يعيق تحقيق أهدافه وطموحاته.
 - تنمية روح التسامح والتضامن الإنساني في نفوس الناشئة والشباب ورفض العنف ومقاومته بشتى الطرق.
 - التدريب على اتباع طرق تدريس حديثة، والخروج من دائرة الطرق التقليدية القائمة على جعل العقل البشرى مخزن للمعارف والمعلومات دون الاستفادة منها، وجعل العملية التعليمية تركز على المتعلم وليس المعلم، مع إعطاء الطلاب فرصة للتعبير عن أنفسهم من خلال المناقشة والحوار، واحترام آرائهم في حالة الاختلاف معهم.
 - تفعيل دور المسرح المدرسي، بما يتيح فرصة أكبر للتعبير عن أنفسهم ومخاوفهم وطموحاتهم بشيء من الحرية والإبداع.
- ويمكن لوسائل التربية المختلفة توظيف تلك الآليات وترجمتها الى ممارسات حقيقية تُسهم في بناء الانسان الحر، ليتحرر من السطوات التي تمارس عليه القهر والتسلط، بدءاً بالسلطة الأبوية وانتهاءً بسلطة المجتمع وما يسوده من تناقضات تجعل العقل البشر عاجزاً أمامها فتحد من العمل والإنتاج والانجاز. وتتجلى أهمية تعزيز ثقافة المقاومة في ظل حملات التشويه والتغريب الفكري والثقافي وسيطرة وسائل الاتصال الحديثة على تشكيل الوعي، فيكون الانسان المعاصر في أمس الحاجة الى تماسك وتوازن مؤسسات التربية التي تقوم على بنائه لتعزيز المقاومة في مواجهة الظلم والاستبداد والطغيان في الواقع. وبتنفيذ تلك الآليات تصبح ثقافة المقاومة نمط وأسلوب حياة الأمم والشعوب.

"وحتىماً ستظل الحرية قيمة التاريخ الوحيدة والتي لا تفنى" (ألبيير كامو، ١٩٨١، ٣٦٠)

المراجع

أولاً: المراجع العربية

أبو فودة، محمد عطية (٢٠١٢). دور التربية السياسية في تدعيم ثقافة المقاومة لدى طلبة الجامعات الفلسطينية، رسالة دكتوراه، قسم أصول التربية - كلية التربية بالإسماعيلية - جامعة قناة السويس، ٢٠١٢.

أحمد، عبد السميع سيد (١٩٩٣). دراسات في علم اجتماع التربوي. الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية.

- إدريس، سوزان عبد الله (٢٠١٧). مشكلة الإنسان في فكر ألبير كامو. سوريا: وزارة الثقافة. الهيئة العامة السورية للكتاب.
- أرونسون، رونالد (٢٠٠٦). كامى وسارتر. ترجمة: شوقي جلال. عالم المعرفة. المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب. الكويت، ع (٣٣٤).
- الأشول، عادل (١٩٨٢). علم النفس النمو. القاهرة: الأنجلو المصرية.
- أماظ، محمد (٢٠٠٣). ثقافة المقاومة لدى طلاب الجامعة في مواجهة القيم العلمية. ماجستير. معهد الدراسات التربوية. جامعة القاهرة.
- بدران، شبل (١٩٩٣). دراسات في التعليم في الوطن العربي. الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية.
- بدوي، عبد الرحمن (١٩٨٠). دراسات في الفلسفة الوجودية. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر.
- برابح، عمر (٢٠١٦). ألبير كامو - من العبث الى التمرد. مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية. جامعة قاصدي مرباح - ورقلة. الجزائر، ع (٢٦)، ص ص ٣٠٥-٣١٢.
- برى، جرمين (١٩٨١). ألبير كامو. ترجمة: جبرا إبراهيم جبرا. بيروت: دار الآداب.
- بلقندوز، هوارى (٢٠٠٦). الخطاب الغرائبي عند ألبير كامو، حوليات التراث. جامعة مستغانم- الجزائر، ع (٦)، ص ص ٣-١٠.
- تركي، عبد الفتاح إبراهيم (١٩٩٣). النظرية النقدية والبحث التربوي. مجلة التربية المعاصرة. رابطة التربية الحديثة. القاهرة، س (١٠)، ع (٢٧)، ص ص ٢٨٨-٣٢٦.
- تركي، عبد الفتاح (٢٠٠٠). تربية ما بعد الحداثة من أين والى أين؟ القاهرة: المحروسة.
- تركي، عبد الفتاح (٢٠٠٣). الفلسفة مؤتلف علمي نقدي. القاهرة: الأنجلو المصرية.
- الجابري، محمد عابد (١٩٩٩). المسألة الثقافية في الوطن العربي. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.
- جاد، مبروك عبدالعال (٢٠٠٣). النظرية التربوية في كتابات " باولو فريرى " - دراسة تحليلية. ماجستير. قسم أصول التربية - كلية التربية - جامعة طنطا.
- الجعب، نافذ سليمان (٢٠٠٩) " المتطلبات التربوية لتعزيز ثقافة المقاومة "، دراسة مقدمة لمؤتمر " ثقافة المقاومة " الذي عقدته وزارة الثقافة الفلسطينية، غزة.
- الجعب، نافذ سليمان (٢٠١٧). دور التربية في تعزيز ثقافة المقاومة في المجتمع الفلسطيني من منظور إسلامي، مجلة جامعة الأقصى - سلسلة العلوم الإنسانية- جامعة الأقصى عمادة الدراسات العليا والبحث العلمي، مج (٢١)، العدد الأول، ص ص ٣٥٥-٣٧٩.
- حسن، حسين إبراهيم (٢٠٠٨). تربية المقاومة في الشعر العربي المعاصر " دراسة نقدية ". دكتوراه. كلية التربية - جامعة كفر الشيخ.
- خضر، سناء (٢٠١٦). الفكر والفن عند ألبير كامو: دراسة تحليلية نقدية. مجلة وأدى النيل للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية والتربوية - جامعة القاهرة - فرع الخرطوم - كلية الآداب، ع (١٢)، ص ص ١٨٩-٣٠١.

الخطيب، عائشة عبد الحميد (٢٠١٨). غريب أم مريض أم اكتئاب: تحليل رواية الغريب للكاتب الفرنسي ألبير كامو. **الموقف الأدبي**، اتحاد الكتاب العرب. دمشق، مج (٤٧). ع (٥٧٢)، ص ١٨٧-١٩٦.

الخميسي، السيد سلامة (١٩٨٨). **تحديث التربية العربية**. القاهرة: عالم الكتب. الخويت، سمير عبد الوهاب (١٩٩٩). **التسلط التربوي والاعتزاز في المجتمع المصري**. التربية المعاصرة. رابطة التربية الحديثة، س (١٦)، ع (٥٣)، ص ٦٥-١٥.

دولبيه، روبر (د.ت). **كامو والتمرد**. ترجمة: سهيل إدريس. بيروت: مطابع الآداب. الديدى، عبد الفتاح (١٩٨٥). **الاتجاهات المعاصرة في الفلسفة**. ط (٢). القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

الذهبي، خدوجة، وآخرين (٢٠١٥). **أزمة القيم في الفكر الغربي المعاصر**. ألبير كامو أنموذج. ماجستير. جامعة قاصدي مرباح - ورقلة. الجزائر. ص ١-٨٣.

رحومة، محمد على (٢٠٠٥). **الانترنت والمنظومة التكنو اجتماعية، بحث تحليلي في الآلية النفسية للإنترنت ونموذجة منظومتها الاجتماعية**. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية. زايد، أميرة عبد السلام (٢٠١١). **تربية المقاومة عند جان بول سارتر: دراسة تحليلية**. مستقبل التربية العربية. المركز العربي للتعليم والتنمية. القاهرة، مج (١٨)، ع (٦٩)، ص ٢٣٧-٣٤٦.

السورطي، يزيد عيسى (٢٠٠٣). **اللفظية في التربية العربية**. مجلة كلية التربية - جامعة الامارات، س (١٨)، ع (٢٠)، ص ١٨٥-٢٠٩.

السورطي، يزيد عيسى (٢٠٠٩). **السلطوية في التربية العربية**. عالم المعرفة. المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب. الكويت، ع (٣٦٢).

عبد اللطيف، رسال حسين (٢٠٠٢). **البير كامو بين الفلسفة والأدب**. ماجستير. كلية الآداب - جامعة بغداد، ص ١-٩٧.

عبد المعطى، عبد الباسط (١٩٧٦). **الاعلام وتزييف الوعي**. القاهرة: دار الثقافة الجديدة. عبد الدائم، عبد الله (١٩٩١). **نحو فلسفة تربوية عربية**. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية. العجمي، خميس مليف (٢٠٢١). ألبير كامو: تطور العبث والتمرد: مسرحيا في حالة طوارئ. **مجلة الدراسات العربية**. كلية دار العلوم - جامعة المنيا، مج (٣)، ع (٤٣). ص ١٢١١-١٢٣٢.

العشري، فتحي (٢٠١١). ألبير كامو: **التأثر بالفكر والأدب، الرواية - قضايا وآفاق**. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ع (٧)، ص ٤٢١-٤٢٧.

على، سعيد إسماعيل (١٩٩٥). **فلسفات تربوية معاصرة**. عالم المعرفة. الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ع (١٩٨).

عمار، حامد (١٩٩٣). **تقديم كتاب، دراسات في علم الاجتماع التربوي**. تأليف عبد السميع سيد أحمد. الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية.

- عمار، حامد (١٩٩٥). من همومنا التربوية والثقافية، دراسات في التربية والثقافة. القاهرة: الدار العربية للكتاب.
- عمر، سعيد إسماعيل (٢٠٠٧). في التربية والتحول الديمقراطي: دراسة تحليلية للتربية نقدية عند هنري جيرو. سلسلة آفاق تربوية مصرية. القاهرة: الدار المصرية اللبنانية.
- عوداش، فتيحة (٢٠١٨). ألبير كامو بين الاغتراب والعبث. مجلة دراسات فلسفية. جامعة الجزائر - كلية العلوم الإنسانية. قسم الفلسفة، ص ص ١-١١.
- فريرى، باولو (١٩٨٠). تعليم المقهورين، ترجمة وتقديم: يوسف نور الدين عوض. بيروت: دار القلم.
- كامو، ألبير (١٩٥٥). أسطورة سيزيف. ترجمة: أنيس ذكي حسن. بيروت: منشورات دار مكتبة الحياة.
- كامو، ألبير (١٩٦٥). من يوميات البير كامو. ترجمة: سهيل إدريس، مجلة الآداب، س (١٣)، ع (٧). ص ص ٣٨-٤٢.
- كامو، ألبير (١٩٨١). الطاعون. ترجمة: سهيل إدريس. بيروت: دار الآداب.
- كامو، ألبير (١٩٨٣). الانسان المتمرّد. ترجمة: نهاد رضا. بيروت - باريس: منشورات عبيدات.
- كامو، ألبير (٢٠٠٩). حالة طوارئ. ترجمة: كوثر عبد السلام البحيري. من المسرح العالمي. الإصدار الثاني. الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب.
- كامو، ألبير (٢٠١٠). خطاب السويد أو الفنان وزمانه. ترجمة وتقديم: أحمد المديني. عمان: أزمنة للنشر والتوزيع.
- كامو، ألبير (٢٠١٤). الغريب. ترجمة: محمد آيت حنا. بيروت: منشورات الجمل.
- كامو، ألبير (٢٠١٧). كاليجولا. ترجمة: مها عبد الله فايد. القاهرة: دار الميدان للنشر والتوزيع.
- كامو، ألبير (٢٠٢١). العادلون. ترجمة: محمود عبد الغنى. عمان - الأردن: دار خطوط وظلال.
- كروكشانك، جون (١٩٨٦). ألبير كامو وأدب التمرد. ترجمة: جلال العشري. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- متولي، محمود طه (٢٠١٣). المحال واللحظة الحقيقية للحياة - قراءة مكايي لفلسفة كامو: المحرر: أحمد عبد الحليم عطية، ع (٣٦)، ص ص ١٩٥-٢١٦.
- مزيان، عبد الرحمن (٢٠١٣). قراءة نقدية في كتاب ألبير كامو: محاولة في دراسة فكره الفلسفي. أوراق فلسفية، ع (٣٦). ص ص ٢٧٧ - ٢٨٨.
- المسفر، محمد صالح (٢٠٠٩). ثقافة المجتمعات العربية. بين جدلية "الخوف" و"المقاومة". دراسات العلوم الإنسانية والاجتماعية. كلية الآداب والعلوم - جامعة قطر ع (٢)، ص ص ٣٩٢-٤٠٩.
- مكايي، عبد الغفار (١٩٦٤). ألبير كامو (محاولة لدراسة فكره الفلسفي). القاهرة: دار المعارف.
- المنوفى، محمد إبراهيم (٢٠٠٧). تربية المقاومة في خطاب "نزار قباني": دراسة تحليلية، مستقبل التربية العربية. المركز العربي للتعليم والتنمية. القاهرة، ع (٤٧)، ص ص ٣٦٩-٤٥٨.

المنوفى، محمد إبراهيم، غازي، رجاء فؤاد (٢٠٠٨). تربية المقاومة في خطاب فاروق جويده الشعري: دراسة تحليلية. *مجلة كلية التربية - جامعة كفر الشيخ*، س (٨)، مج (٨). ص ١-٥٨.
المنوفى، محمد ابراهيم (٢٠١٤). تربية المقاومة ضرورة لاستمرار ثورات الربيع العربي، ورقة عمل مقدمة الى الندوة العلمية الرابعة عشر لقسم أصول التربية. كلية التربية - جامعة كفر الشيخ، بعنوان " مستقبل التغيير التربوي بعد ثورة يناير " أسسه - أولوياته - متطلباته " ١٤ مارس ٢٠١٢.

النخالة، سمية سالم & أبو ليلي، حمدي حسين (٢٠٠٩). مدى تدعيم المناهج الفلسطينية لثقافة المقاومة، دراسة مقدمة لمؤتمر " ثقافة المقاومة "، وزارة الثقافة الفلسطينية - غزة.
نوفل، محمد نبيل (١٩٨٥). *دراسات في الفكر التربوي المعاصر*. القاهرة: الأنجلو المصرية.
هارون، أميرة (٢٠٠٩). دور مؤسسات التنشئة الاجتماعية في تعزيز مفهوم المقاومة. وزارة الثقافة الفلسطينية - غزة.

هلال، عصام الدين، وآخرين (٢٠١٣). *قضايا تربوية معاصرة*. القاهرة: الأنجلو المصرية.
وينوك، ميشيل (٢٠٢١). كامو وسارتر الصديقان اللدودان. *مجلة فكر*. بيروت. مركز العبيكان للأبحاث، ع (٣٠)، ص ص ١٠٨-١٠٩.

يحياتن، محمد (١٩٨٤). *مفهوم التمرد عند ألبير كامو وموقفه من ثورة الجزائر التحريرية*. الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.

يوسف، عبد الباقي (٢٠٠٩). *ثورات فكرية في الأدب العالمي*. *مجلة الآداب العالمية*. اتحاد الكتاب العرب - دمشق، س (٣٤)، ع (١٤٠)، ص ص ٢٣٠-٢٦٦.

ثانياً: المراجع الأجنبية

(Raymond Marrow A. and carlos Albertio torres (1998). **Education and the Reproduction of clos, gender and Race Responding to the postmodern challenge** in; carlos A. torres. *Sociology of Education Emerging perspectives*, New York, press.23).

Camus, Albert (1938). **Caligula**. Paris. Gallimard.

Camus, Albert (1942). **L´mythe de sisyph**. paris. Gallimard.

Camus, Albert (1947). **La peste**, paris: Gallimard.

Camus, Albert (1949). **LES JUSTES**. Paris. Gallimard.

Camus, Albert (1951). **L´Homme revolté**. Paris. Gallimard.

Camus, Albert (1957). **LÉtranger**.paris: Gallimard.

Camus, Albert (1958); **Discourse de suède**. Paris.Gallimard.

Camus, Albert (1998). **Note books 1935-1951**.paris. Gallimard.

Giroux, Henry A (2001); **theory and Resistance in Education, towards pedagogy for the opposition**, Reuised and Expanded Edition, London, Bergin& Garvey).

ثالثاً: مواقع الانترنت

مفهوم الديمقراطية عند ألبير كامو، ٢٠١٨

[http:// www. Ciaes.net/%D9%85%D9](http://www.Ciaes.net/%D9%85%D9)

عبد الرحيم نور الدين. ألبير كامو.. الحاضر الغائب. الميادين نت

[http:// www.almayadeen. Net / investigation.](http://www.almayadeen.Net/investigation)

ويكيبيديا. الموسوعة الحرة. ألبير كامو.

Camus<http://ar.wikipedia.org/wiki/Albert>

- Freire, Paulo (1970). pedagogy of the oppressed, In; [http ;//www. Marxists.org/ subject / education / Freire/ pedagogy/ index. html.](http://www.Marxists.org/subject/education/Freire/pedagogy/index.html)